رواية

صراع في أرض الفيروز

أحمد الروبي

دار لوتس للنشر الحر

صراع في أرض الفيروز

رواية

أحمد الروبي

إصدار: ديسمبر ٢٠٢٠

منشورات دار لوتس للنشر الحر

مشروع النشر الحر - الإصدار رقم: 520

www.lotusfreepub.com

رقم الإيداع

2021/5382

الترقيم الدولي ISBN

978-977-6839-70-0

الغلاف والإخراج الفني: دار لوتس للنشر الحر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر، وجميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر هذا الكتاب أو جزء منه بأية طريقة دون موافقته أو موافقة دار النشر.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

صراع في أرض الفيروز

رواية

أحمد الروبي

إهداء

إلى الجنود البواسل الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الوطن دون تردد ولا تفكير

إلى التجاعيد الحزينة التي ملأت وجوهنا من واقع الأمة المرير

إلى أبي

إلى أمي

إلى إخوتي

إلى أحبة ملكوا القلب والكيان، وألهبوه عشقًا كالبركان

إلى أصدقائي ورفقاء دربي

إلى كل من علمني حرفًا

إلى كل مسلم يغار على دينه

إلى فريق دار لوتس للنشر الحر

أهدي إليكم هذا الكتاب

تنويه هام

كل الأحداث والشخصيات التي في الرواية من محض خيال المؤلف ولا تمد للواقع بصلة إلا في أحداث العهدة العُمرية، ومعركة اليمامة فإنهما من التاريخ الإسلامي الحافل بأمجاد وبطولات القرون الأولى من الإسلام، وهناك تشابه بين الأحداث الخيالية والواقع الأليم الذي نعاصره، فلقد كثر الإرهاب والتطرف الذي يسئ للإسلام، وللمسلمين ولا علاقة للإسلام به.
فالإسلام دين يدعو للتسامح وحرية المعتقدات، ونبذ العنف.

كما يجب التنويه عن مقال مقتبس من إحدى المواقع الإسلامية والذي يتحدث عن الوحدة العربية صفحة ثلاثة وسبعون بعد المئة، ولكاتبه كامل الحقوق الفكرية.

المؤلف

أحمد الروبي

(١)
فرحة العودة من براثن الموت

في حجرة بيضاء في مستشفى الشفاء، يرقدُ مريضٌ على سرير أبيض مرتدياً عبايا لبنية اللون، وحوله أجهزة طبية كثيرة متصلة به، كجهاز الأكسجين في أنفه، وجهاز قياس النبض في يديه، وصدى صوت الأجهزة يملأ المكان من حوله.

فجأة!! تتصاعد أصوات الأجهزة، وممرضين وممرضات يسرعون خارج غرفة المريض، ويصرخون هنا وهناك، ويسألون:

- أين الطبيب؟ أين الطبيب؟

الكل جرى مسرعاً، وكأنهم يسابقون قطار الزمن، وذهول في غرفة انتظار المرضى لما يدور حولهم من أحداث مفزعة.

ذهب رجلٌ طويل القامة، نحيف الجسم، ذو شعر كالثلج في بياضه، وتظهر عليه الوسامة بالرغم من تجاعيد الزمان التي ملأت وجهه، ويبدو أنه في منتصف الستين من عُمره، ويرتدى بدلة سوداء اللون وقميص أبيض، ورابطة عنق حمراء مسرعاً نحو ممرضة، وسألها بنبرة ترقب:

- ماذا يحدث أيتها الممرضة؟!

أجابت الممرضة بصوت ملئٌ بالتفاؤل، والسعادة:

- لقد أفاقَ المريض عُمر من غيبوبته يا سيدي!

عندما سمع الرجل تلك الكلمات تهللت أساريره، وبدت نواجذه، وكاد يطير فرحاً.

ولما رأت الممرضة هيئته سألته قائلةً:

- لماذا كل هذه السعادة سيدي؟!

أتعرف ذلك المريض؟.

أجابها بابتسامة تعلوه:

- نعم، لقد عاد حفيدي عُمر لوعيه بعد شهر من رقاده بالمستشفى، ويبدو أنكِ جديدة هنا لأنني أول مرة أراكِ فيها.

قالت:

- نعم، لقد كان أول يوم عمل لي صبيحة اليوم.

وفي تلك الأثناء، أتته فتاة تهرول، في الخامسة والعشرين من عُمرها، متوسطة الطول، ذات ملامح حسناء، وعيون زرقاء، رشيقة القوام بين النحافة والسمنة، وترتدى فستاناً أحمر اللون، جاءته، وعلى خديها دموع تكفكفها،

وقالت متسائلةً:

- هل هناك خبر عن حبيبي عُمر يا جدي؟!

أجابها بابتسامة عريضة تملكت وجهه:

- نعم، يا ابنتي الجميلة! لقد عاد عُمر إلى وعيه، والأطباء في غرفته الآن يفحصونه، ثم سنذهب إليه بعد الفحص.

ثم أكمل حديثه بنبرة طغت عليها كل معالم الحزن قائلاً:

- هل تعلمين كم من الأشواق الدفينة في صدري لعُمر يا سارة؟!

لطالما حنيتُ لصوته، وضحكاته، وحديثه العذب،

... لقد ربيته بعد موت أمه وأبيه، وهو في الخامسة من عُمره أثناء حادث لهما على الطريق الصحراوي، فلقيا حتفهما على الفور بسبب جروحهما البليغة.

وفي تلك الأثناء جاءت إليهما ممرضة مسرعة، ونادت من بعيد:

- يا عم صالح! حفيدك عُمر يريد رؤيتكما.

ذهبا سويًا تسابقهما خُطاهما إلى غرفة عُمر، ودخلا عليه، ووجدا بجواره طبيبًا مرتديًا معطفًا أبيضًا، ويضع سماعة في أذنيه يدقق بها في المريض.

تحدث إليهما وقال:

- الحمد لله لقد تجاوز حفيدك عُمر الخطر كثيراً، وقريباً إن شاء الله سيخرجُ من هذه المستشفى يا عم صالح!

ثم أستأذن منهما، وهَمَ بالخروج من الغرفة بعدما شكره الحاج صالح على اهتمامه بعُمر في فترة مرضه.

ثم جلسا بجوار عُمر بعدما أعطى كل منهما قبلة على جبينه،

وبجوارهما الكثير من الأدوية على المنضدة التي على شمال عُمر.

قال الجد، والصمت يسود المكان:

- آه يا عُمر! لقد أتعبتنا وأحزنتنا يا بني!

آهٍ لو تعلم الحسرة والآلم اللذين اعتصرا داخلي! حينما فكرت لوهلة إنني سأفقدك مثلما فقدت والديك قبل خمسة وعشرين عاماً.

كيف سأحيا الحياة بدونك يا فلذة كبدي؟!

قال عُمر:

- أسف يا جدي، أَعلمُ أنك حزين على ما أصابني، ولكن قدر الله وما شاء فعل،

والحمد لله قريباً سأخرج من المستشفى، وأمارس حياتي الطبيعية.

ثم نظر عُمر إلى سارة نظرةً مليئةً بالحب والهيام، وقال:

- هل تعلمين يا سارة أنكِ دائمًا كنتِ في لُبي وفكري؟

لم أنساكِ أبدًا، وكنتُ أشعر بوجودكِ حولي، حتى وأنا ممدد على سريري هذا، وكنتِ دائمًا تأتين في أحلامي ومنامي.

بكت سارة وقالت وهي تمسك بيديه وتقبلهما بحرقةٍ:

- ليتني كنتُ مكانك يا عُمر!

لقد جرحت روحي، ومزقت فؤادي، وأخذت لُبي، وجمدت ساقي، حينما سمعت خبر الحادثة.

فأمسك عُمر بيديها، وقال لها شاردًا في عينيها:

- لا تحزني يا روحي!

فقاطعته متسائلةً:

- كيف حدث هذا؟

- أخبرني عن الحادثة يا عُمر!

قال لها عُمر، وهو ينظر إلى جده:

- سأحكى لكِ لاحقا يا سارة!

★★★

(٢)
مهمة صعبة

في اليوم التالي من عودة عُمر لوعيه، أتت سارة لوحدها إليه وسلمت عليه، ثم قالت له حينما لاحظت على وجهه علامات التساؤل عن جده:

- عُذرًا يا عُمر! لن يأتي جدك اليوم إلى المستشفى، وسوف يتواصل معك هاتفيًا؛ كي يطمئن عليك.

قال عُمر بعدما ساوره القلق، وهو ينظر إليها متسائلا:

- هل حدث خطب ما؟

أجابت:

- لا، ولكنه أخبرني أنه سيذهب لزيارة أحد أصدقائه القُدامى في مستشفى السلام، لأنه خضع لعملية جراحية خطيرة، وحالته الصحية حرجة جدًا.

قال عُمر بنظرة استعطاف:

- شفاه الله وعافاه!

قالت سارة:

- يا عُمر! ألم تحدثنى عن الحادثة التي أصابتك؟

أجابها عُمر بعدما أومأ برأسه إيجابًا:

- نعم، سأخبرك الآن.

هل تعلمين لماذا لم أخبركِ بالأمس؟

أجابت:

- لا، يا عُمر! لم أكن أعرف.

قال عُمر:

- لأن جدي كان موجودًا، وخفت عليه من سماع تلك الأحداث التي عصفت بي، يكفي ما حدث لأمي وأبي حينما كنت صغيرًا، لطالما كان يحكى لي عنهما قائلاً:

- أنت تشبه أباك كثيرًا في شكله، وسلوكه، حتى في حركاته، فلقد كان أبي طويل القامة، مقوس الحاجبين، وعريض المنكبين، ذو قوام رياضي متناسق، أبيض الوجه تكسوه حُمرة، وشعره أسود اللون وناعم كالحرير يتمايل مع نسمات الهواء العابرة.

قاطعة سارة حديثه قائلة:

- وكأنه أنت؟!

قال لها مبتسمًا:

- ألم أقل لكِ يا سارة! أني أشبهه في جميع حالاته؟

أجابت، وهي تبتسم:

- نعم، الآن أخبرني عن الحادثة.

قال عُمر والحزن يخيم على وجهه، وتغيرت نبرة صوته، بعدما أطرق مليًا، وكأنه يعود للوراء مسترجعًا ذكريات الماضي الأليمة:

- سأخبركِ بكل ما حدث يا حبيبتى!

سألت:

- ء الآن يا عُمر؟

أجاب قائلاً:

- نعم، الآن سأخبرك بكل شيء.

قال عُمر مسترجعًا لصفحات من ذكريات الماضي البعيد:

- تَعلمينَ يا سارة! أني تخرجت من الكلية العسكرية قبل سبع سنوات، وخدمت في قطاعات كثيرة، وترقيت في الرتب حتى صرتُ برتبة مُقدم، وأحمل فوق كتفيا نجمًا ونسرًا، وأسهرتُ ليلي في خدمة هذا الوطن العريق.

لقد كافحت في سنوات ما بعد تخرجي؛ حتى أخدم بلدي، وأثبت نفسي في الجيش المصري.

قالت سارة:

- أَعَلمُ يا عُمر! لقد كنت متفوقًا في كليتك العسكرية على أقرنائك، وحصلت على رتبة ملازم أول أثناء تخرجك، قلت لي ذلك حينما أنقذتني من أيدي أولئك المجرمين، الذين قتلوا كل عائلتي واحتجزوني عندهم.

قال لها عُمر، وعيناه تلمعان بالدموع:

- إنها كانت مهمتي الأولى في القوات الخاصة، بعد الجد،

والاجتهاد، والمثابرة، والعناء، وإثبات الذات بعد البُعد عن الملذات، وتم تدريبنا على مستوى عالٍ من الكفاءة القتالية، وتحت الظروف القاسية؛ نظرًا لطبيعة المهام التي ستؤل إلينا مستقبلاً في أرضنا سيناء الحبيبة، ومطاردة أولئك الإرهابيين الذين بثوا الذعر، والخوف، والفساد في أراضينا.

قالت له بصوتٍ مخلوطٍ بالبكاء:

- لقد قَتَلَ أولئك المشئومين كل عائلتي.

قال لها عُمر:

- أتذكر تلك الليلة السوداء، لقد تلقينا التعليمات من مركز العمليات لعملية سرية عاجلة في صحراء سيناء، وأخبرونا بكل تفاصيل العملية.

ذهبت أنا، وفريقي إلى منطقة الشيخ زويد بسيناء، وفي وقت متأخر من الليل ركبنا جميعًا الطائرة الحربية، وهبطنا قبل المدينة ببضع كيلومترات؛ حتى نباغت الإرهابيين في وكرهم، وإذ بالليل حالك السواد، وغاصت أقدامنا في وسط الرمال، والصخور تحيط بنا من كل جانب.

أسرعنا في تفقد الطريق، كُلٌ في حيطة وحذر، وفجأة! رأينا من بعيد نيران مشتعلة، وتتصاعد منها الأدخنة إلى السماء فأقتربنا قليلًا ووجدنا معسكرًا لمجموعة إرهابية.

تقدمنا قليلًا، ثم اختبأنا خلف صخرة؛ حتى لا يرانا أحدهم، وأرسلنا أحمد ليتفقد المكان؛ لكونه استخباراتيًا يعرف كل شبر في سيناء.

ذهب أحمد متخفيًا عن أعين الإرهابيين حاملًا سلاحه ومنظاره؛ ليتفقد المعسكر، وأقترب منه رويدًا رويدًا، وإذ بالمعسكر له ثلاث مداخل، على كل باب يوجد اثنان من الإرهابيين يحمونه، ويحملون الأسلحة وحول خصرهما ذخيرة كثيرة.

تفقد أحمد المداخل جيدًا بمنظاره يريد أن يدخل إلى الداخل، وسنحت له الفرصة للدخول من المدخل الغربي للمعسكر بعدما لاحظ ذهاب أحد الإرهابيين لقضاء حاجته.
فأسرع بالتسلل إلى الداخل، وأختبأ خلف حائط نصف مكشوف، وبدأ ينظر بمنظاره هنا وهناك، ووجد مجموعة من الأسرى المدنيين بيد الإرهابيين، حاول الاقتراب أكثر فأكثر؛ ليسمع ما يدور من حديث فلم يستطع، وبينما أحمد على هذه الحالة تلقى إشارة من جهاز اللاسلكي الخاص به من قائده عُمر.
أحمد! أحمد! هل تسمعني؟
أجاب أحمد بصوتٍ هامس:
- نعم، يا قائدي! أسمعك.
القائد عُمر متسائلاً:

- ما الخبر؟ هل رأيت شيئًا؟

أجاب أحمد:

- الوضع معقد هنا يوجد مدنيين (أطفال، ونساء، ورجال) بيد الإرهابيين، هل من أمر يا قائدي!

فقال له قائده:

- نعم، أسرع إلى الخارج، وتعالى إلينا؛ لنضع خطة على هذا الأساس.

أجاب أحمد:

- تمام يا قائدي!

خرج أحمد سريعًا إلى قائده وفريقه خلف الصخرة، وشرح لهم كل ما رآه في الداخل، وحالة تأهب المعسكر، ومداخله الثلاثة.

على هذا الأساس شرع القائد عُمر في وضع خطته بعدما قنن الوضع.

ثم تحركوا جميعًا نحو المعسكر في آنٍ واحد، والقائد عُمر يعطى التعليمات بيده لفريقه:

- خالد! أصعد إلى التلة التي في مقدمة المعسكر، وأختبئ خلف صخرة، وراقب المكان، وأحمينا من خلفنا.

أحمد، وإسلام، ويوسف اذهبوا إلى المدخل الشرقي.

مصطفي، وعبد الرحمن، وزكريا اذهبوا إلى المدخل الغربي.

ياسر، ومحمد تعالا معى إلى المدخل الرئيسي.

ذهب خالد مسرعًا إلى وجهته، يحمل سلاحه، وتمركز في مكان

يكشف كل المعسكر، ويتحين الفرصة لاصطياد الإرهابيين فردًا فردًا.

«كم أنت قناص ماهر؟ ذو بصر حاد، لا تخطئ هدفك».

تذكر خالد هذه الكلمات عندما كرمه قائده؛ لنجاحه بجدارة في كل العمليات التي وكلت إليه.

تحرك الفريق معًا بحذر، ونظف المكان من الإرهابيين بالخارج، ثم تقدم الفريق رويدًا رويدًا من الجهات الثلاثة، ويُسقطُ الإرهابيين واحدًا تلو الآخر أرضًا،

وصوت الرصاص في كل مكان، ورائحة البارود انتشرت في جميع الاتجاهات، تكاد تخنق الأنفاس، وخراطيش الرصاص متناثرة في كل مكان، والدماء تسيل في كل جهة.

القائد عُمر أمرًا فريقه:

- هيا تقدموا، أريد تطهير المكان دون خسارة في أرواح الأسرى يا أبطال!

أجابوا:

- تمام يا قائدي!

تقدم الفريق أكثر فأكثر، وانتشر في كل الأرجاء، ودمر كل الإرهابيين حتى وصل إلى قلب المعسكر، ووجدوا مجموعة من الإرهابيين أكثر تسليحاً، وأشدُ بطشًا، ووسطهم رجلٌ طويل

القامة عريض المنكبين ذو لحية كثيفة يتخللها الكثير من الشعرات البيضاء، وشارب كبير، ويرتدى بنطالاً واسعًا، وجلبابًا قصيرًا، قمحاوي البشرة، ذو هيبة بين رجاله، ويبدو عليه أنه زعيمهم؛ لما يمليه عليهم من تعليمات وأوامر كثيرة. ووجدوا الأسرى في قفص من حديد مُكبلين بالسلاسل، ويظهر عليهم آثار التعذيب. ذهبوا جميعًا مسرعين إليهم بعدما تخلصوا من معظم الإرهابيين، وهرب القليل منهم، وبدأوا في تفقد أحوال الأسرى، وعالجوا مرضاهم، وأشبعوا بطون جياعهم، ورووا ظمأنهم وهم يهدأون من روعهم، حيث كان من بينهم أطفالًا ونساءًا وشيوخًا أختطفوهم؛ ليُرهبوا أهل المنطقة، ويرغموهم على الذهاب من هذه الأراضي؛ ليستوطنوا فيها.

وأثناء تلك اللحظات الإنسانية ذهب عُمر مسرعًا نحو فتاةٍ تبكى بشدة، وتقول وهى تجهش بالبكاء:

- ليتكم أدركتمونا قبل أن يأتوا إلى أرضنا، ويأخذونا عنوةً إلى هذا المكان السيء.

قال لها عُمر وهو يهدئ من روعها:

- مَن أنتِ أيتها الفتاة، ولماذا تبكين؟!

قالت ودموعها تسيل على خديها:

- أنا سارة من بئر العبد، وأبكى على ما حدث لعائلتي.

قال لها عُمر:

- ماذا حدث لهم؟

قالت سارة:

- بينما نحن نحتفل بزفاف في قريتنا، وأصوات الطبول والمزامير والغناء البدوي في كل مكان، والناس يلهون ويحتفلون، والأطفال يرقصون ويلعبون، وإذ بثلاثة سيارات يتجهون نحونا من بعيدٍ، مُحملينَ بالرجال المُلثمين، ويحملون أسلحة ثقيلة وصواريخ وقنابل يدوية، ويتقدمون نحونا، ويرمون القنابل هنا وهناك، ويقتلون من ينجون من المتفجرات بأسلحتهم الفتاكة.

أصبح المكانُ مليئًا بالجثث، والأشلاء، والدماء.

هَربت كل عائلتي إلى المنزل باستثنائي، وحاولوا الاختباء منهم، وأحكموا غلق الأبواب والنوافذ الخشبية، ولكن دون شفقة ألقوا عليهم قنبلة يدوية بعدما نزعوا فتيلها تسللت إلى الداخل عبر نافذة كانت محطمة، ودمرت البيت عن بكرة أبيه، وماتت كل عائلتي: أمي، وأبي، وإخوتي جميعًا.

قال لها عُمر متسائلاً في اندهاش:

- وكيف نجوتي من ذلك الدمار..؟

قالت سارة:

- حينما رأيت الإرهابيين يدخلون بلدتنا أسرعت بالخروج من البلدة، وكنت أبحث في الطرقات عن أمي، وأبي، وإخوتي، ولكن

دون فائدة، وسمعت من بعيد صوت انفجار.

أسرعت نحو منزلي فرأيت أدخنة الحريق تتصاعد منه.

«كل شيء أصبح رمادًا» قالتها وهى تبكى.

قال لها خالد متأثرًا بحديثها:

- ومَن الذي قتلهم؟

أجابت:

- قتلهم الإرهابي المجرم «أبو عوف» كبير الإرهابيين.

قال لها عُمر مُهدئًا من حزنها:

لا تحزني يا سارة! سوف نأخذ انتقامك، ونجعل ذاك الإرهابي القذر عبرًة لمَن يعتبر، والآن ستأتين معنا.

قالت:

- إلى أين أيها القائد؟!

قال:

- إلى مقر القيادة بالعاصمة، ثم سنذهب بعدها إلى منزلي حيث يعيش جدي وحيدًا هناك.

قالت:

- لا أريد إزعاجكما، دعني أذهب إلى بلدتي.

قال:

- لا يوجد إزعاج، بل بالعكس سيفرح جدي كثيرًا عندما يراكِ؛ لأنه رجلٌ كبير في السن، ويعيش وحيدًا معظم أوقاته، ولا يوجد

أحـد يهتـم بـه؛ بسـبب انشـغالي الدائـم عنـه؛ ونظـرًا لطبيعـة عمليـات القـوات الخاصـة.

وبينما هم كذلك يتبادلان الحديث، أتاهم خالد قائلًا:

- لقـد بحثـت فـي الجثـث عـن جثـة «أبـي عـوف»، ولكنهـا ليسـت موجـودة يـا قائـدي!

قال عُمر بغضب:

- ابحثـوا عنـه فـي كل مـكان. إنـه هنـا لا يسـتطيع الهـروب. لقـد داهمنـا المـكان مـن مداخلـه الثلاثـة فـي آنٍ واحـد، ولـم يسـتطيع أحدهـم الفـرار حينها .

★★★

(٣)
استشهاد زكريا

ظل عُمر يتحدث مع خالد لفترة ليست بالقليلة، وقطع حديثهما صوت رصاصةٍ خرجت من فوهة مسدس أحد الإرهابيين، والذي كان مستلقيًا على الأرض، ويتظاهر بالموت فأصابت زكريا في صدره، وخر مغشيًا عليه.

« زكريا! زكريا! زكريا « نادوه جميعًا بصوت واحد.

هرولا عُمر وخالد إلى زكريا.

قال عُمر صارخًا:

- إسلام! مصطفي! يوسف! ياسر! أسرعوا خلف الإرهابي الهارب، وخذوه حيًا أو ميتًا.

انطلقوا خلفه، ووجدوه ينزل إلى نفق تحت الأرض بعدما رفع غطاءً من الخشب موضوع فوقه سجادة.

نزلوا جميعًا وراءه، ولما أقترب من الخروج أصابه إسلام برصاصة في رأسه، فأردته قتيلًا.

ثم أسرعوا نحو مخرج النفق؛ ليتفقدوا المكان، وبينما هم كذلك إذ بسيارة جيب سوداء تهرب من المعسكر، وفيها « أبو عوف» واثنان من جماعته.

حاولوا ملاحقتها، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل، ثم رجعوا مسرعين إلى زكريا؛ ليطمئنوا عليه، وحينما وصلوا إليه وجدوا دمائه تتدفق بغزارة على الأرض الصفراء، ويتكلم مع قائده عُمر بصوت متقطع:

- حينما تذهبون بنعشي إلى قريتي، ستجدون بيتًا بسيطًا في ضاحيتها، وفيه امرأة مسنة، قد غير الزمن ملامح وجهها بتجاعيد كثيرة، تعيش وحيدة هناك، وتنتظر عودة ابنها الوحيد التي ضحت بشبابها من أجله، وأفنت عُمرها في رعايته؛ كي يلتحق بالكلية العسكرية، ويخدم بلده.

بلغوها سلامي، وقولوا لها كلامي:

- ذهب ولدك، وفلذة كبدك إلى ربه شهيدًا، وتمنى رؤيتك قبل رحيله وانقطاعه عن الدنيا، ولم يراكِ منذ أشهر.

لطالما تمنى الموت بين ذراعيكِ، وتضمينه في أحضانك الدافئة كسابق العهد في برد الشتاء القارس، وتشميه شمًا، ويكون أخر عهده بالدنيا بكِ، حينها لم أحزن على فراقكِ أيتها الأم الحنونة!

قال زكريا هذه الكلمات وعينيه تفيض بالدمع، ثم تمتم بكلمات غير واضحة، وفهموا أنه ينطق الشهادتين.

ثم انقطعت أنفاسه، وسكت قلبه، وجحظت عيناه.

«زكريا! زكريا! زكريا!»

كل نادى بصوت ممزوج بالدموع، وتمنوا لو كان هذا حُلما

ويـزول، أو أن يرجـع بهـم الزمـان للـوراء، ويسـتطيعوا إنقـاذ زكريـا ذلـك الشـاب الطيـب البـار بوالدتـه.

وأنىَّ لهم هذا؟!

ظلـوا علـى حالهـم هـذا سـاعة مـن الألـم، والحـزن، والبـكاء مصدومين مـن هـول الموقـف، ودموعهم تسيل بغـزارة.

وخيَّـم الصمـت علـى المـكان، وكأن أرواحهـم خرجـت دفعـة واحـدة مـن هـول الموقـف وسـوء المنظـر، صديقهـم علـى الأرض طريحًـا، وفـي صـدره رصاصـة، ودمـاءً غطـت زيـه العسـكري.

في هذا السكون تمالك عُمر نفسه ونطق أمرًا:

- تجهزوا يا أصدقاء! سنعود الآن إلى مركز القيادة بالعاصمة.

ذهبـوا جميعًـا إلـى مـكان الطائـرة، ومعهـم سـارة، وجثـة الشـهيد زكريـا إبـن محافظـة الدقهيليـة، ثـم صعـدوا إلـى المروحيـة، وحلقـوا إلـى مركـز القيـادة.

ولمـا وصلـوا كان فـي اسـتقبالهم قائـد مقـر القـوات الخاصـة بزيـه العسـكري، وعلـى كتافتـه نسـر وسـيفان متقاطعـان، إنـه اللـواء «حجـازي الروبـي»، الرجـل المخضـرم ذو الصـوت الجهـوري والشـخصية القويـة، والعينـان العسـليتان، طويـل العمـاد، ورقيـق الفؤاد، ذو الشـعر الأبيض والوجـه الحسـن، ومعـه حشـد مـن الجنـود،

ويرفرف بجوارهم العلم المصري في السماء عاليًا، وكأنه هو الآخر يستقبل شهيدًا مات مدافعًا عنه.

أعطوا جميعًا التحية لقائدهم الأكبر اللواء حجازي الروبي، والذي مازال يخدم في القوات الخاصة منذ أكثر من خمسة وعشرين عامًا.

وقال عُمر بنبرة حزينة:

- قائدي! لقد قمنا بمهمتنا على أكمل وجه، ولكننا فقدنا الملازم زكريا.

تغيرت تعبيرات وجه اللواء حجازي الروبي، وقال بصوت حزين:

- رحم الله شهيدنا! لقد كان عسكريًا جيدًا لم يبالى يومًا بحياته في سبيل وطنه، ولم يفشل أبدًا في مهماته.

كان جَسورًا مُقدامًا يخترق أوكار الإرهابيين، ويبيدهم جميعًا.

قال عُمر وهو ينظر للواء حجازي:

- قائدي! متى سنخرج بالجنازة؟

أجابه قائلًا:

- سنخرج بعد قليل، هيا استعدوا، وجهزوا السيارة التي سنضع فيها نعش الشهيد زكريا.

رد عليه كل الفريق بصوت واحد:

- تمام يا قائدي!

ذهبوا جميعًا؛ لإنهاء الاستعدادات الأخيرة، ورجع إليه عُمر بعد بضع دقائق قائلًا:

- الموكب جاهز على الانطلاق يا قائدي!

فوقف القائد قائلًا:

- هيا يا عُمر! سننطلق الآن.

★★★

(٤)
المرأة العجوز

تحرك الموكب إلى قرية تابعة لمدينة المنصورة بمحافظة الدقهيلية حيث مسقط رأس زكريا، ولما وصلوا إلى مدخل القرية وقفوا قليلًا يتذكرون ما قاله زكريا لهم في لحظاته الأخيرة عن المنزل القديم، والمرأة المُسنة، وكيف سيكون رد فعلها حينما تسمع خبر استشهاد ولدها الوحيد؟

دخلوا القرية يسألون عن منزل زكريا، وأهل القرية مذهولين، ومندهشين ويتسألون:
- لماذا هؤلاء الجنود يسألون عن منزل زكريا، وزكريا ليس موجودًا معهم؟
وماذا تفعل سيارة الإسعاف التي معهم في قريتنا؟

ذهب الموكب إلى بيت زكريا خلف دليل من أهل القرية، ومن خلفهم أهل القرية ينظرون ما الخبر..؟

ولما وصلوا جميعًا إلى بيت قديم في ضاحية القرية، تركوا

النعـش فـي سـيارة الإسـعاف، وتقدمـوا نحـو بابـه يطرقـون البـاب طرقًـا خفيفًـا.

وإذا بامـرأة كبيـرة فـي السـن تفتـح لهـم البـاب، وعندمـا رأتهـم، وقبـل سـماعها للخبـر الحزيـن، شـعرت بانقبـاض قلبهـا، وبـدت الدمـوع تسـيلُ علـى خديهـا، وقالـت:

- أعرفُ أن ولدي مات شهيدًا.

أحسستُ أنـه لـن يعـود علـى قدميـه مـرة أخـرى بعـد زيارتـه الأخيـرة لـي حينمـا جلـس بجـواري وتسـامرنا ليـلًا، وقـال لـي وهـو يُقبـل يـدى: أُمـاه يـا روحـي! لا تحزنـي علـيَّ، ولا تذرفـي دموعـكِ؛ لأن دموعـكِ غالية،حينمـا يأتـوا إخوتـي ورفقـاء دربـي، وقادتـي إليـكِ يخبـروكِ بخبـر استشـهادي.

قاطعته أمه قائلة:

- هون عليك يا ولدي! ليس الآن، لماذا تقول هذا الكلام؟

أريد أن أرى أولادك يلعبون من حولي.

وقالت:

- حينها قال لي:

- «ومـا تـدرى نفـس مـاذا تكسـب غـدا، ومـا تـدرى نفـس بـأي أرض تمـوت»

وقَبلَ جبيني وهو يمسح الدموع من عينيا وقال:

- تصبحيـن علـى خيـر يـا أحسـن وأحـن أم فـي الدنيـا كلهـا! ثـم غـادر إلـى غرفتـه محـاولًا إخفـاء دموعـه عنـي.

في تلك الليلة سهرت أبكى حتى الصباح، ولم تذق طعم النوم أجفاني، حتى أستيقظ زكريا من نومه باكرًا، وتناول فطاره، وطلبت منه أن يجلس معي قليلًا قبل مغادرته للقرية، وذهابه إلى مقر القوات الخاصة، ومنذ ذلك الحين لم أراه، وها هو الآن بعد أشهر كثيرة يعود إليَّ جثة هامدة بلا روح وبلا أنفاس.

بعدما انتهت من حديثها أقبل إليها الفريق، وقائدهم يقبلوها، ويحضنوها ويقولون لها:
- لقد فقدتِ ابنًا واحدًا، وصار لكِ الآن تسعة أبناء، فلا تحزني يا أمنا العطوفة!
بعدها أكملوا مراسم الدفن، وودعوا القرية، وانصرفوا إلى مقر القوات الخاصة.

ذهبوا لأول مرة بدون زكريا والذي لطالما دخل معهم في كثير من الحروب ضد أعداء الوطن، الذين يتكالبون عليه ليلًا ونهارًا، ويقتلون أبناءه في الكمائن، وعلى الحدود: أخي، وابن عمي، وابن خالي، وصديقي كلهم بلا استثناء.

وصلوا جميعًا إلى مقر القوات الخاصة، ثم طلب منهم اللواء حجازي أن يستريحوا، ويأخذوا قسطًا من النوم؛ لأنهم لم ينامو منذ يومين.

أستأذن عُمر من قائده بالذهاب إلى جده، ويأخذ سارة معه فأذن له، ثم

ذهب عُمر مع سارة إلى منزل جده بوسط البلد، ولما وصلا رن عُمر جرس المنزل ففتح جده لهما الباب، وقال:

- مرحبًا ياعُمر! حمدًا لله على سلامتك، كيف كانت مُهمتك الأولى في القوات الخاصة؟

أجابه عُمر:

- كانت صعبة قليلًا، وفقدنا فيها زكريا الجندي الشجاع.

قال له جده بعدما ارتسم الحزن على صفحات وجهه:

- رحمه الله، وأسكنه في زمرة الشهداء والصالحين.

ثم سكت جده لوهلة، ثم تابع حديثه وهو ينظر إلى سارة:

- مَن هذه الفتاة يا عُمر؟!

أجابه عُمر قائلاً:

- إنها سارة يا جدي! أنقذناها من أيدي الإرهابيين بعدما قتلوا كل عائلتها، وأصبحت وحيدة لا مسكن لها، ولا مأوى.

جئت بها إلى هنا؛ لكى تعيش معك يا جدي!

قال له جده شاكرًا:

- أحسنت صنعًا يا عُمر! لن أعيش وحيدًا بعد اليوم، ستعيش معى ابنتي سارة الجميلة، وسترعاني كأب لها.

ثم جلسوا معًا على مائدة الطعام؛ لتناول وجبة الغداء، وقال الجد لسارة:

- ستخبرينني بكل شيء عنكِ يا أبنتي الجميلة!

قالت:

- حسنا، سأخبرك بكل شيء لاحقًا، دعني لا أفسد فرحتك بعودة حفيدك عُمر.

وبينما يتناولون طعامهم رن هاتف عُمر المحمول فأجاب عُمر على الفور بعدما نظر إلى هاتفه ليرى مَن المتصل:

- ألو.. كيف الحال يا قائدي؟

أجابه اللواء حجازي:

- بخير والحمد لله، تعالى يا عُمر بسرعة لدينا مهمة عاجلة في مدينة العريش!

- تمام يا قائدي سأتى حالًا.

بعدها أنهى عُمر مكالمته التليفونية أستأذن من جده، وسارة فأذنا له بالذهاب، ذهب مسرعًا إلى مركز العمليات، ولما وصل عُمر إلى مقر القيادة وجد قائده بانتظاره، وقال له:

- مرحبًا يا عُمر! اذهب الآن إلى الاستراحة، وفي المساء سنعقد اجتماعًا حول العملية الجديدة.

قال له عُمر:

- تمام يا قائدي!

ذهب عُمر إلى حجرته في المقر، وجلس قليلًا بها، ثم خرج إلى حجرة زكريا، وعندما رأى سريره فارغًا بكى بكاءً شديداً، ثم قال:

- كيف أصبر على فراقك يا زكريا؟!

سننتقم لك الليلة من الإرهابيين، سنداهمهم، ونستأصل شوكتهم.

ثم ذهب إلى حجرته مرة أخرى، وخلد إلى النوم مثل كل فريقه والذي كان في سبات عميق.

في المساء تم عقد الاجتماع، ودار الحوار التالي:

القائد حجازي قائلًا:

- بعد قليل أيها الأبطال! ستذهبون إلى مدينة العريش؛ لكى ننتقم للجنود الذين تم قتلهم في الكمين.

- لقد شنوا اليوم هجومًا عنيفًا على جنودنا الأبرياء قُتل فيه أكثر من عشرين شهيدًا، لن يضيع دماءهم هدرًا.

قال عُمر:

- تمام يا قائدي! لن نستكين لأولئك الجبناء.

وقال خالد:

- لن نتراجع عن ملاحقتهم، وسنستأصل شأفتهم.

ثم قال أحمد:

- لن نرجع حتى نأخذ ثأرنا، ونلملم جراحنا.

وقال يوسف:

- اليوم ستتكلم الأسلحة، وستصمت الألسنة.

ثم قال الآخرون:

- لن يضيع حق الشهداء، ولن يضيع حق الأبرياء، حانت ساعة الانتقام.

ثم قال اللواء حجازي:

- حان موعد التحرك، اذهبوا يا أبطال!

★★★

(٥)
الحصن المنيع

ركضوا جميعًا إلى المروحية، ثم صعدوها، وانطلقوا كالصاروخ العابر نحو مدينة العريش.
وصلوا إلى هناك على الساعة العاشرة ونصف مساءً، وهبطوا عند بئر لحفان، وتحركوا مشيًا إلى مدينة العريش؛ كي لا يجذبوا الانتباه نحوهم.
ولما وصلوا إلى هناك وجدوا كمينًا منصوبًا بانتظارهم.

بادرهم الإرهابيون بإطلاق الرصاص عليهم، فأشتد القتال حتى أشرف الإرهابيون على الهلاك والفناء، وهرب أحدهم بداخل المدينة؛ ليتحصن بها، وأمسكوا بأحدهم حيًا فأخبرهم بوجود مدنيين محجوزين بداخل المدينة.

أبلغ عُمر مقر قيادته بالوضع، وطلب منهم دعمًا، وأبلغوه بأنهم سيرسلون طائرات (كاموف ٥٢) والمعروفة بالتمساح، إنها من أفضل الطائرات القتالية في العالم، ومتعددة المهام، وبها مركز اتصالات قادر على تنسيق الاتصالات بين الطائرات والمحطات الأرضية.

بعد مرور نصف ساعة وصلت الطائرات تحلق فوق مدينة العريش، وأصواتها تملأ الأجواء، وأسرعت في قصف حدود المدينة بعدما تواصل معهم عُمر، وأرسل إليهم الإحداثيات، وأبلغهم بوضع الرهائن.

لم يتمكنوا من قصف القلب؛ لوجود الرهائن بالداخل بعدما كشفوهم بالردار، وأخبروا عُمرًا عبر اللاسلكي، بأنهم نظفوا المكان بالكامل إلا الحصن المحتجز به الرهائن، ويجب عليكم التوغل في قلب المدينة؛ لإنقاذهم.

شكرهم عُمر على دورهم القتالي، وأسرع بفريقه للتوغل في قلب المدينة، وعندما وصلوا إلى كمين الجنود الذي تم مداهمته وجدوا بقع الدماء في كل مكان، ورأوا جنودًا قد قُتلوا غدرًا تغطى وجوههم رمال الصحراء، ودمائهم متناثرة في كل مكان، ورأوا خراطيش الرصاص مترامية في جميع الأطراف، فقاموا بجمع جثث الشهداء، وتم تجهيزهم؛ لإرسالهم إلى أهليهم.

بعدما رأوا هذا المنظر الشنيع اشتاطوا غيظًا، وراودهم صوت الانتقام بداخلهم، واحمرت أعينهم من الغضب فأصبحت كالجمرة الملتهبة.
أسرعوا نحو الحصن، ولما وصلوا إليه وجدوه حصنًا منيعًا،

وأسـواره شـاهقة الارتفـاع تحـول بينهـم وبيـن مهمتهـم.
وتقدمـوا نحـو البـاب يدفعونـه دفعًـا، ويركلونـه ركلًا، فلـن يتحـرك لـه سـاكن، وظـل شـامخًا أمـام هـذا الفريـق العنيـد.

توقـف الفريـق لوهلـة يحاولـون إيجـاد حـل للتغلـب علـى هـذا الحصـن المنيـع، ولكـن كل محاولـة لا تجـدى نفعًـا.
بـدأ الإحبـاط يسـيطر عليهـم، وجثـوا علـى ركبهـم، وعندمـا رآهـم عُمـر علـى هـذه الحالـة، وقـف متكلمًـا ومحفـزًا لفريقـه قائـلًا:
- أتذكرون أحداث معركة اليمامة، وخصوصًا حدث الحديقة؟
قال يوسف متشوقًا:
- أخبرنا عن المعركة كلها يا قائدي!
قال القائد عُمر راويًا:
«لمـا مـات رسـول الله (صلـى الله عليـه وسـلم) ارتـدت معظـم القبائـل العربيـة، وهنـاك مـن أدعـى النبوة،فجيش أبـو بكـر الصديـق الجيـوش لمجابهـة هـذا الخطـر الكبيـر، وتحركـت الجيـوش الإسـلامية فـي أرجـاء الجزيـرة العربيـة؛ فخضعـت لهـا القبائـل مـن جديـد، ورجـع مَـن أرتـد عـن الإسـلام، ولكـن الخطـر الأعظـم كان مسـيلمة الكـذاب الـذي أدعـى النبـوة، وجمـع جيشًـا جـرارًا لمحاربـة المسـلمين، فبعـث أبـو بكـر الصديـق السـرايا إلـى المرتديـن.

أرسل عكرمة بن أبي جهل في عسكر إلى مسيلمة، وأتبعه شرحبيل بن حسنة، فاستعجل وانهزم، وأقام شرحبيل بالطريق حين أدركه الخبر، وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالخبر، فكتب إليه أبو بكر:

«يا بن أُمِّ عِكْرِمَةَ، لا أَرَيْنَكَ وَلا تَرَانِي! لا تَرْجِعْ فَتُوهِنَ النَّاسَ، امْضِ عَلَى وَجْهِكَ حَتَّى تُسَانِدَ حُذَيْفَةَ وَعُرْفُجَةَ فَقَاتِلْ مَعَهُمَا أَهْلَ عُمَانَ وَمهْرَةَ، وَإِنْ شُغِلا فَامْضِ أَنْتَ، ثم تسير وتسير جندك تستبرئون مَنْ مَرَرْتُمْ بِهِ، حَتَّى تَلْتَقُوا أَنْتُمْ وَالْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بِالْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ».

وكتب إلى شرحبيل بالمقام إلى أن يأتي خالد بن الوليد فإذا فرغوا من مسيلمة يلحق بعُمرو بن العاص يعينه على قضاعة. فلما رجع خالد من البطاح - بعد قضائه على مالك بن نويرة - إلى أبي بكر واعتذر إليه فقبل عذره، وأوعب معه المهاجرين والأنصار، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد بن الخطاب، وأقام خالد بالبطاح ينتظر وصول البعث إليه، فلما وصلوا إليه سار إلى اليمامة بجيشه لملاقاة العدو.

ولما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعقرباء، وخرج إليه الناس وخرج مُجَّاعَةُ بنُ مِرَارَةَ في سرية يطلب ثأرا لهم في بني

عامر، فأخذه المسلمون وأصحابه وقتلهم خالد واستبقى مجاعة لشرفه في بني حنيفة، وكانوا ما بين أربعين إلى ستين، وترك مسيلمة الأموال وراء ظهره.

وفي صباح اليوم التالي التقى الجيشان بسهل عقرباء، وقال شرحبيل بن مسيلمة: «يَا بَنِي حَنِيفَةَ، الْيَوْمَ يَوْمَ الْغَيْرَةِ، الْيَوْمَ إِنْ هزمتم تستردف النساء سبيات، وينكحن غير خطيبات، فَقَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ، وَامْنَعُوا نِسَاءَكُمْ»، فاقتتلوا بعَقْرَبَاءَ، وكانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وكانت مع عبد الله بن حفص بن غانم فقُتل، فقالوا لسالم:

«نخشى عليك من نفسك».

فقال:

«بِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَنَا إِذًا!». وكانت راية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس.

وانهزم المسلمون في بداية المعركة، فقد كان جيش مسيلمة الكذاب في منتهى القوة، فتعداده مائة ألف مقاتل، وجيش خالد بن الوليد اثنا عشر ألف، واخترق بنو حنيفة جيش المسلمين حتى وصلوا إلى فسطاط خالد بن الوليد الذي هو قبل مؤخرة الجيش، ودخلوا خيمة القائد، وحرروا مجاعة بن مرارة، وكادوا أن يقتلوا زوجة خالد بن الوليد، لولا أن أجارها مجاعة بن مرارة، وقال:

- أنا لها جار فتركوها، عليكم بالرجال.

فقطعوا الفسطاط وحاق الخطر بالمسلمين في هذه الساعة، وأخذ بعضهم يحث على القتال ويستفز الهمم، فقال ثابت بن قيس: «بئس ما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني أهل اليمامة - وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين»، ثم قاتل حتى قُتل.

وقال أبو حذيفة:

- يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال.

ويقوم زيد بن الخطاب الذي رفض الإمارة، حتى يطلب الشهادة، يقول للمسلمين: «أيها الناس عضوا على أضراسكم، واضربوا في عدوكم، وامضوا قدمًا، والله لا أتكلم حتى ألقى الله فأكلمه بحجتي». ويقاتل قتالاً شديدًا في جهة اليمين وهو قائد الميمنة، حتى وفقه الله تعالى إلى أن يصل إلى نَهَار الرِّجَال، وهو قائد ميسرة المرتدين، فتبارز معه، فقتل زيد نهار الرجال، وبمجرد موت نهار الرجال، تضعف الهمة عند بني حنيفة.

وقد كانت لهذه الكلمات الحماسية والمواقف الرائعة أثرها في النفوس، فحمل خالد في الناس حتى ردهم إلى أبعد مما كانوا واشتد القتال وقاتل العدو قتال المستميت، وكانت الحرب يومئذ تارة للمسلمين، وتارة لبني حنيفة، واستشهد سالم وأبو حذيفة وزيد بن الخطاب وغيرهم من كبار المسلمين.

ولما رأى خالد ما الناس فيه واختلاط جيشه، أراد أن يميزهم لتدب فيهم روح الغيرة فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ امْتَازُوا لِنَعْلَمَ بَلاءَ كُلِّ حَيٍّ، وَلِنَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ نُؤْتَى!».

وكان أهل البوادي قد جنبوا المهاجرين والأنصار، وجنبهم المهاجرين والأنصار، فلما امتازوا قال بعضهم لبعض:

«اليوم يستحي من الفرار»، فما رئي يوم أعظم نكاية، غير أن القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منه في البوادي.

★★★

(٦)
بسالة ياسر

ثبت مسيلمة الكذاب فدارت رحاهم عليه، وأدرك خالد بن الوليد أن الحالة لا تهدأ إلا إذا قتل مسيلمة، فحمل عليهم ودعا إلى البراز، ونادى بشعار المسلمين يومئذ وكان «يَا مُحَمَّدَاهُ!»، فلم يبرز إليه أحد إلا قتله، وحمل على مسيلمة ففر وفر أصحابه، وصاح خالد في الناس فهجموا عليهم فكانت الهزيمة، ونادى المحكم بن الطفيل وزير مسيلمة الكذاب، وقائد ميمنته:

«يا بني حنيفة الحديقة الحديقة!»، ثم رماه عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بسهم فوضعه في نحره فقتله.

فرَّ المرتدون أمام المسلمين حتى دخلوا الحديقة بأعداد هائلة، حتى كان داخل الحديقة في ذلك الوقت ما يقرب من تسعين ألف مقاتل، وأراد المسلمون دخول الحديقة، فلم يستطيعوا دخولها لمناعة أسوارها العالية.

فقاطعه ياسر قائلًا:

- وكأنها هذا الحصن يا قائدي!

قال عُمر:

- نعم، ثم أكمل حديثه قائلًا:

وكان ممن دخل الحديقة مسيلمة، فقال البراء بن مالك:

«ضعوني على درع، ثم ارفعوا هذا الدرع بأسنة الرماح، ثم ارفعوني، حتى أصل إلى أعلى السور، ثم اقذفوني داخل الحديقة، أفتح لكم الباب من داخل الحديقة»، فتردد المسلمون خوفا عليه، ثم احتملوه فألقوه، فلما أشرف على الحديقة من الجدار اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة التي كانت مغلقة فقتل منهم خمسة عشر، حتى فتحها للمسلمين.

فاندفع المسلمون إليها كالسيل الجارف، فأغلق البراء الباب عليهم بعد دخولهم جميعًا، ورمى بالمفتاح من وراء الجدار حتى لا يتمكن أحد من الخروج، فاقتتلوا قتالا شديدًا، وقُتل مسيلمة، قتله وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم، ورجل من الأنصار كلاهما قد أصابه.

بعد قتل مسيلمة الكذاب وهنت نفوس المرتدين، وخارت عزائمهم، فلم يقووا على فعل شيء، فأعلنوا استسلامهم وقبل أن يعلنوا الاستسلام كان المسلمون قد أوسعوهم قتلاً، وبلغ عدد قتلى المرتدين في معركة اليمامة واحدًا وعشرين ألف مرتد، وكان جيش المسلمين اثني عشر ألف مجاهد، قتل منهم ألف ومائتا شهيد سقطوا من المسلمين.

ولما أخبر خالد بقتل مسيلمة خرج بمجاعة يرسف في الحديد ليدله على مسيلمة، وأخذ يكشف له عن جثث القتلى حتى عثر عليه، فقال مجاعة لخالد:

«وَاللَّهِ مَا جَاءَكَ إِلا سَرْعَانُ النَّاسِ، وَإِنَّ جَمَاهِيرَ النَّاسِ لَفِي الْحُصُونِ»

فقال خالد:

«ويلك ما تقول؟»

قال:

«هُوَ وَاللَّهِ الْحَقُّ، فَهَلُمَّ لأُصَالِحُكَ عَلَى قَوْمِي.

وبعد معركة اليمامة ذهب وفد من بني حنيفة إلى أبي بكر رضي الله عنه وقص عليه ما كان من أمر مسيلمة، وسألهم عن بعض أسجاع مسيلمة فقالوا له شيئًا منها، فقال: «سُبْحَانَ اللَّهِ! وَيْحَكُمْ! إِنَّ هَذَا لَكَلامٌ مَا خَرَجَ مِنْ إِلٍّ وَلا برٍّ، فَأَيْنَ يَذْهَبُ بِكُمْ؟!».

أنهى عُمر كلامه قائلًا:

- هكذا انتهت قصة مسيلمة الكذاب أشهر المتنبئين وأخطرهم على الإطلاق والتي كانت حركته تمثل تحديًا كبيرًا أمام الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، والذي وفَّقه الله بالقضاء عليه بجنود مخلصين وهم صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) وبسيف من الله مسلول وهو خالد بن الوليد (رضي الله عنه).

فقال ياسر متهللًا:

- ما أشجعك يا براء بن مالك!

اليوم يومي سأتجاوز هذا السور العالي، فذهب مسرعًا، وجاء بسلم من الحبال وفي أعلاه خطاطيف، ألقاه عاليًا فأمسك بالسور.

ثم وقف قليلًا، وقال:

- سامحوني أيها الشجعان ربما تكون النهاية!

قالوا جميعًا:

- لن نسامحك حتى تعود إلينا سالمًا.

فأسرع في تسلق درجات السلم، حتى وصل إلى أعلاه، ووجد ثلاثة أشخاص يحرصون باب الحصن من الداخل فقتلهم جميعًا بإطلاق النار عليهم.

ثم نزل إلى داخل الحصن عن طريق سلالم حجرية موجودة بداخله كالقلاع القديمة، وحينما نزل وجد مبنى بالداخل، فأسرع منطلقًا ليفتح باب الحصن لفريقه، وحينما أقترب منه وجد مجموعة من الإرهابيين يخرجون من داخل المبنى الذي كان موجودًا بداخل الحصن، ويتجهون نحوه، فتعلق بالباب محاولًا فتحه، وهم من خلفه يطلقون عليه الرصاص، وفتح الباب وفي جسده اثنتي عشرة رصاصة، فاندفع الفريق إلى الداخل، وقتلوا الإرهابيين الذين أطلقوا على ياسر.

سقط ياسر على الأرض، وفي عينيه دموع غزيرة؛ لأنه تذكر أخاه عبد الله الذي كان يحبه حبًا جمًا، وتذكر أباه الرجل الطيب، إمام القرية الذي لطالما جلس بجواره؛ ليعلمه القرآن الكريم وسيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

تذكر الحب الشديد الذي بينه وبين أخيه دفع عبد الله للالتحاق بالكلية العسكرية؛ ليكون معه دائمًا، ويخوض معه الحروب.
وتذكر حبيبته الريفية البسيطة، ولحظات الحب التي جمعتهما، والبيت الذي كانا سيؤسسانه عما قريب.
قال بصوت خافت:
- « ليس كل ما يتمناه المرء يدركه »
الآن سأرحل يا عبد الله، وستبقى وحيدًا كالسابق، وستتخرج من الكلية، ولست موجودًا في حفل تخرجك، ولكن ستجد ذكريات الطفولة، وبعض من ذكريات الشباب التي قضيناها معًا، سامحني يا أخي!

أسرع الفريق نحو ياسر، الكل خائف وقلق على ياسر، وقالوا:
- بالأمس فقدنا زكريا، واليوم سنفقد ياسر.
نظر ياسر إليهم والعرق يتصبب من وجهه، والدموع كالأنهار الجارية، والدماء غطت كل جسده ثم قال:

- لا تبكوا يا أصحابي ولا تحزنوا على رفيق دربكم، سأرحل اليوم شهيدًا إلى ربي، وعندما تتذكروني ستذكروني بالرفيق الذي ضحى بحياته في سبيل نصرة المظلوم، ومحاربة الظالم.

لم يركع أبدًا لعدوه، ولم تخور قواه حتى هذا اليوم، ولي عندكم وصية سأوصيكم بها، وستكون أخر عهدي بكم.

قاطعه عُمر والدموع تسيل على خديه محاولًا إخفائها قائلًا:

- ستعيش يا ياسر، وسنحارب ظهرًا لظهر كسابق أيامنا الماضية، لن تموت وتتركنا كزكريا، تكلم يا ياسر، سنفعل كل شيء تريده!

قال ياسر بصوت متقطع:

- وصيتي لكم أخي عبد الله، لا تتركوه وحيدًا، ولا تشعروه بفقداني وغيابي، وسامحوني يا أصدقائي على تركككم في منتصف الطريق!

كنت أود رؤية وطني آمنًا من كل عدو، وعامرًا بأهله الطيبين العادلين، وأرى أشجار الزيتون تغطي كل شبر في سيناء.

ثم سكت للحظة، ثم قال:

- حينما تذهبون بجثماني إلى قريتي، ستجدون رجلًا يجلس على قارعة الطريق، وحوله مجموعة من الأطفال يحفظهم القرآن الكريم، ويعلمهم الحديث الشريف قولوا له مبشرين:

« ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون «

حينها سيفهم ما حدث لولده الكبير، وسيبكى كثيرًا على موتي،

وفرحًا لشهادتي، وإنني سأكون شفيعًا له يوم الميعاد، لقد ربانـي والدي لأكون شهيدًا.

وربما ترون شابًا في مقتبل شبابه، ويشبهني كثيرًا إنه أخي، ورفيقي، وكاتم أسراري.. ألتحق بالكلية العسكرية ليكون معى، قولوا له:

- ذهب أخوك إلى ربه مُقبلًا غير مُدبر، كان يريد رؤيتك، وضمك إلى حضنه، وسماع صوتك قبل موته، ويريد منك الانضمام لهذا الفريق بعد التخرج، ويترك الوطن في أمانتك.

بكوا جميعًا لما سمعوا هذه الكلمات، وشرعوا في تقبيله؛ يودعون صديقًا شهمًا خاض معهم الكثير من الحروب.

كان خلوقًا، رحيمًا، كريمًا، شجاعًا، أصابته رصاصات الغادرين.

قال عُمر:

- محمد حاول تطهير الجراح، وإيقاف النزيف!

تقدم محمد نحو ياسر، وحاول تطهير الجراح، وإيقاف النزيف بعدما جرده من زيه العسكري، ووجد اثنتي عشرة رصاصة أصابته في أماكن متفرقة في جسده، ووضعه حرج جدًا.

وفي هذه اللحظة سمعوا صوتًا خافتًا بالتشهد، وحشرجة روح تستعد للخروج إلى باريها.. فاضت الروح إلى خالقها، وبكى الجميع بكاءً مريرًا.

جلس محمد بجوار ياسر، وأسترجع ذكريات آخر عشرة دقائق مضت، وكيف ياسر تسلق السور العالي؛ ليفتح لهم أبواب الحصن المنيع، وإنقاذ الرهائن بالداخل؟

ومسح عُمر الدموع من عينيه، وقام قائلًا:

- هيا يا أبطال نطهر أرضنا من هؤلاء المجرمين!

★★★

(٧)
الفخ والباب السري

تقدموا مسرعين نحو المبنى الموجود بداخل الحصن، ونار الانتقام تشتعل بداخلهم.
ولما دخلوه وجدوا الكثير من الغرف الحجرية به، وأبوابها من الحديد، وبداخلهم الكثير من الأسرى.

دخلوا إلى أول غرفة، ووجدوا بها رجل مغمض العينين، ومقيد اليدين والقدمين، وبجواره صاعق الكهرباء.
فكوا قيوده وأزاحوا الغطاء من على عينيه، وأطلقوا سراحه إلى الخارج.
ثم دخلوا إلى ثانية ووجدوا بها جنود أسري مقيدين بالسلاسل من أيديهم إلى أرجلهم، ومعلقين في سقف الغرفة.. حاولوا أن يحرروهم من قيدوهم، ولكن دون فائدة، فأسرع عبد الرحمن خارجًا؛ يبحث عن مفتاح أقفال القيود.
وبعد بحث دقيق وجده مع أحد الإرهابيين الذين نالوا حتفهم أثناء مُداهمة المبنى، فأخذه مسرعًا ناحية الغرفة الثانية، يريد تحرير الجنود الأسرى.

فكوا قيودهم جميعًا، وحرروهم من الأسر المهين، وأعطوا لكل واحد منهم سلاحًا من الأسلحة التي كانت بأيدي الإرهابيين الذين قُتلوا أثناء الاشتباك.

تقدم عُمر، ومن خلفه خالد، وأحمد، وإسلام، ومصطفي، ويوسف، وعبد الرحمن، والجنود الذين تم تحريرهم.
ذهبوا مسرعين إلى غرفة كانت في آخر المبنى، عندما سمعوا صوت صراخ واستغاثة.
ولما وصلوا إلى هناك، رأوا مجموعة من الأسرى داخل باب حديدي ويصيحون:
- أنقذونا! أنقذونا! هل هناك أحد يسمعنا؟
قال لهم عُمر:
- لا تخافوا، لقد أتينا وسننقذكم الآن.

حاولوا دفع الباب بقوة، ولكن دون فائدة، وبحثوا عن مفتاحه، ولكن دون جدوى فقال مصطفي لعُمر:
- أسمح لي يا قائدي بتفجيره، ليس لدينا متسعًا من الوقت، وليس لدينا حل آخر، إن لم نفعل ذلك لا فرصة لدينا في نجاتهم!
قال له عُمر:
- حسنا يا مصطفي، أبدأ حالًا!

ثم طلب عُمر من الأسرى الابتعاد عن الباب؛ حتى لا يصابوا بأذى.

قام مصطفي بوضع قنبلة مؤقتة على الباب، وضبط عدادها على دقيقة قبل الانفجار، وطلب من الأسرى الولوج في أقصى مكان بالحجرة، والابتعاد عن الباب.
بعدها بثوان قليلة حدث الانفجار، وتم إخراج الأسرى خارج الحجرة.

تكلم عُمر مع أحدهم قليلًا، وقال له سائلًا:
- كيف جئتم إلى هنا؟
قال أحدهم:
- لقد أخذونا رهائن بعد مهاجمة كمين العريش، وقتلوا الكثير من الجنود، وأسروا بعضهم حينما كنا نعبر من هناك.
قال عُمر:
- وأين ذهبوا..؟
قال:
- ذهبوا باتجاه ممر في آخر الغرفة المجاورة لهذه الغرفة حيث يوجد نفق هناك، وسيحاولون الهروب منه.
أشار عُمر بيده إلى الجنود قائلًا:

- خذوا الأسرى خارج المبنى، وأذهبوا بهم، ونحن سنطارد الإرهابيين الهاربين.

قالوا في صوت رجل واحد:

- تمام يا قائدي!

خرج الجنود بالأسرى، وذهب عُمر وفريقه في الممر المؤدى إلى النفق؛ ينظرون حولهم يمنًة ويسرًة، حتى وجدوا بابًا في آخر الممر، ففتحوه ووجدوا سلالم للأسفل، نزلوا على السلالم فوجدوا نفقًا مظلمًا.

أخرج كل منهم كشافه وأشعله، كي يهتدي بنوره في وسط الظلام الحالك،

ثم ذهبوا من خلال النفق يقتفون أثار أقدام المجرمين، ولمحوا دماءً على الأرض.

قال يوسف هامسًا:

- يبدو أن أحدهم أُصيب برصاصة أثناء الاشتباك، وفر هاربًا معهم.

تتبعوا بقع الدماء المنتشرة على الأرض، حتى وصلوا إلى حائط مسدود.

تفقد أحمد المكان حوله، ثم صاح بقوة:

- قائدي! قائدي!

أجابه عُمر بقلق:

- نعم، يا أحمد! ماذا حدث؟

قال:

- إنه فخ يا قائدي، أنظر إلى الحوائط، هناك الكثير من القنابل المؤقتة، والتي ستنفجر خلال عشرة دقائق.

قال عُمر مهدئًا من روعهم:

- لا تخافوا، سنجد حلًا إن شاء الله.

أسرعوا في تفقد المكان، وحاولوا العثور على مخرج في النفق، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل. ثم أمر عُمر إسلامًا بالتحدث إلى محمد باللاسلكي، ويخبره بالوضع الراهن، وإخلاء المكان فورًا، لأنه سينفجر خلال دقائق قليلة.

سحب إسلام اللاسلكي من جيبه، ثم قال:

- محمد، هل تسمعني؟!

- أجابه محمد:

- نعم، يا إسلام!

قال إسلام:

- اذهبوا من المبنى بسرعة، لأنه سيحدث انفجار خلال دقائق.

أجاب محمد:

- تمام، كونوا حريصين على أنفسكم.

أعادوا الكَّرة مرة أخرى، وظلوا يبحثون هنا وهناك، حتى وجد أحمد شيئًا غريبًا.

صاح مناديًا:

- قائدي! أنظر إلى هذا الحائط، يبدو أنه باب سري لأنه مختلف تمامًا عن الحوائط الأخرى الموجودة بالنفق.

انطلقوا إليه، وأسرعوا في دفعه محاولة لفتحه، ولكنه كان مُحكم الإغلاق، وشديد الصلابة، وبعد محاولات عديدة من محاولة فتح الباب، والبحث عن شيء له علاقة به، وجد أحمد مُفتاحًا على شكل دائرة في السقف أعلى الباب

فقال أحمد:

- أنظروا إلى الأعلى، ربما تلك الدائرة هي زر فتح الباب. سأنظر ما الخبر؟

تسلق أحمد الحائط، وتشبث بحديدة بارزة مثبتة بالحائط محاولًا الوصول إلى تلك الزر، حتى وصل إليه، وأزال غطائه، ثم ضغط عليه بأصبعه فتحرك الباب بداخل الحائط، وظهرت سلالم للأعلى.

صعدوا السلالم مسرعين ناحية ضوء ينبعث من الخارج، ويسابقون الثواني الأخيرة على الانفجار، وما أن وصلوا إلى خارج البناء،

حتى سمعوا صوت الانفجار يملأ المكان، ورأوا سحابات رمادية اللون غطت المبنى بأكمله.

***

وفي لحظة خروج محمد خارج المبنى، ومعه الجنود الذين تم تحريرهم من براثن الأسر بعدما تلقوا أمرًا بخروجهم من المبنى، سمعوا صوتًا باتجاه الباب الخلفي لمبنى الحصن، فأسرعوا ناحيته، فوجدوا مجموعة من الإرهابيين يركبون سياراتهم، ويهربون، ولاحظوا من بعيد أن أحدهم مصابًا، ويتهادى على رجلين لركوب السيارة.

فأمر محمد العساكر بالرجوع والمكوث بجوار ياسر، وأنه سيذهب لملاحقة الإرهابيين الفاريين من الباب السري.

أسرع محمد، وركب سيارة كانت موجودة بالحصن، ولحسن حظه كان بابها مفتوحًا، والمفتاح بداخلها، شغل السيارة وأسرع في تعقبهم، وعندما أقترب منهم بادروه بإطلاق وابل من النار، فرد عليهم برصاصات متتالية، وظل يلاحقهم وأقترب منهم أكثر فأكثر.

فرأى أن الشخص المصاب هو ذلك الشخص الذين يبحثون عنه، إنه الإرهابي الخطير، والرجل الكبير «أبو عوف»، والذي تسبب بموت زكريا بالأمس، وياسر اليوم.

وعندما رآه أشتاط غيظًا، وزاد سرعة سيارته حتى أرتطم بهم من الخلف، وحاول شل حركتهم، أو قتلهم جميعًا، وفجأة!!

انقلبت سيارته بعدما أصابوا إطارها، وظلت تتقلب وتتأرجح ناحية منحدر، وتشبث محمد بمقعده؛ حتى لا تصاب رأسه، وهدأت السيارة بعدما أوقفتها صخرة كانت على شفا حفرة من المنحدر.
ركل محمد الباب برجليه، وخرج منها على حذر، وأسرع خلفهم ركضًا على قدميه، ولكن الوقت تأخر كثيرًا.
لقد هرب «أبو عوف» في هذه المرة أيضا.

***

ذهب عُمر، وفريقه إلى باب الحصن حيث جثة ياسر بجواره، وظهر على وجوههم القلق حينما وصلوا إلى هناك، والجنود حول جثمان ياسر،
ومحمد ليس موجودًا بينهم.
سأل عُمر، والقلق قد أرتسم على وجهه:
- أين محمد؟ أين ذهب ذلك العسكري؟
حرك أحدهم شفتيه، وقبل أن يتفوه بكلمة، رأوا محمد من بعيد مردفًا نحوهم متحاملًا على نفسه، والدماء تسيل من وجهه، وملابسه ممزقة
وعندما وصل إليهم سقط على الأرض مغشيًا عليه.

صرخ الجميع بصوت عالٍ:

- محمد!

ثم نظر عُمر إلى يوسف، وهو يتفقد جراحه، وقال له:

- أفعل شيئًا يا يوسف! ما زالت جراحنا حديثة.. قبل قليل فقدنا ياسر.

لقد سئمنا من هذا المكان، وبما يحويه من إرهابيين مشئومين، لا راحة لنا قبل تطهير أرضنا ونشر الأمن والطمأنينة فيها، حتى ولو كلفنا هذا الأمر أرواحنا جميعًا.

قال له يوسف:

- لا تقلق يا قائدي! سيكون محمد بخير، إنها مجرد كدمات بسيطة.

جلب يوسف صندوق الإسعافات الأولية، وشرع في تضميض جراحه، ومسح الدماء التي تسيل على وجهه، ثم سكب عليه القليل من الماء، حتى يفيق من إغمائه.

وبعد لحظات قليلة فتح محمد عينيه، ونظر إلى عُمر وقال:

- قائدي! هرب القاتل، هرب الحقير.

أقترب منه عُمر كثيرًا، وثنى ركبتيه، ثم قال:

- مَن هو القاتل الذي تقصده؟ وماذا حدث لك؟

أجابه محمد قائلًا:

- «أبو عوف» مَن فعل هذا.

قال عُمر، وهو يصر على أسنانه من الغيظ:

- كيف؟

أجابه محمد قائلًا:

- ذهبت في ملاحقته ولكنه هرب يا قائدي، بعدما قلبوا سيارتي!

ثم صمت لوهلة، ثم قال مستطردًا:

- إنه مصاب يا قائدي! هيا بنا نلاحقه، ونعطيه درسًا لن ينساه.

قال عُمر:

- إذن الدماء التي وجدناها في النفق كانت دماء «أبو عوف».. لا تقلق يا محمد! سيأتي دوره عاجلًا أم آجلًا، ليس وقته الآن، بسبب إصابتك، وجنازة ياسر.

يجب علينا الذهاب إلى العاصمة سريعًا قبل حلول الصباح.

تحركوا جميعًا إلى خارج الحصن، ومعهم جثمان ياسر الذي سقط شهيدًا، وأرجلهم تغوص في الرمال الناعمة، وأعينهم تطرف من الرمال المتناثرة في الهواء، والتي تحملها رياح عاتية في ليلة حالكة الظلام.

ويتقدمون رويدًا رويدًا تجاه الطائرة التي تنتظرهم على بعد كيلو مترات من الحصن، ولما اقتربوا من الطائرة أصابتهم صدمة! وتسمروا في مكانهم مما رأوا أمامهم، وسقط محمد أرضًا بعدما كان يتهادى بين يوسف وعبد الرحمن وصرخ باكيًا:

- أنا السبب، أنا السبب، ليتني أمسكت بالإرهابي الحقير، وقتلته

قبل أن يجمع شرذمة من رجاله، ويهاجمون المروحية العسكرية!

- كيف سنعود الآن؟

وأين سنذهب في هذا البرد القارس؟

تقدم عُمر نحوه، وربت على كتفيه ثم قال:

- لا عليك يا محمد، سنجدُ حلًا إن شاء الله!

ثم تقدم أحمد نحوهما، وقال:

- لقد وجدت حلًا.

قال عُمر بشغف:

- ما هو يا أحمد؟!

أجابه قائلًا:

- توجد قبيلة بدوية تقطن بالقرب من هنا، ويفصل بيننا وبينهم حوالى إثنان كيلو متر، أى سنصل إليهم خلال نصف ساعة سيرًا على الأقدام.

قال عُمر:

- إنها فكرة جيدة، دعني أتصل بالقائد حجازي أولًا، وأخبره بالوضع، ثم سنذهب بعدها إلى القبيلة.

قال أحمد:

- تمام يا قائدي! ثم أنصرف.

تكلم عُمر إلى قائده، وشرح له ما حدث لياسر، والأسرى الذين تم تحريرهم، وأخبره بخبر تدمير الطائرة، وعن القبيلة التي سيذهبون إليها، فنعى موت ياسر ورثاه بقصيدة (على الحدودِ شهيد) للشاعر: أحمد الروبي، وطلب منه الخروج باكرًا إلى طريق العاصمة، وأن يتوخوا حذرهم بعد أن قال:

على الحدودِ شهيد

سائرٌ في وطني البعيد
حائرٌ وحيدًا وسط الجليد
في جُنح ظلام الليل
ومع بداية فجر جديد
أفخاخ وكمائن لا تنتهي
وجندي على الحدود شهيد
صراعٌ مع الخونة الأعداء
وثباتٌ من عسكري عنيد
ترى بحارًا من الدموع
ممزوجة مع دم من الوريد
سالت على الرمال المحرقة
باتت وكأنها تُرضعُ وليد

قطرات دم في تساقط
وعَلَمٌ ممسوكٌ بالأيد
ونسيم عطر من روحٍ
فاضت إلى بارئها المجيد
لا تتركوني يا إخوتي وحيدًا
و أحملوني في تابوت فريد
وقولوا لأمي المُسنة صبرًا
في رسالة من عميد
خبروها عن بطولاتي، وانتصاراتي
وعن جسد قَاوم كالحديد
وامسحوا دموعًا، وادعوا لها
ربنا يرزقك بالعُمر المديد
لا تبكي يا وطني على فراقي
من فعل إرهابيٍ كَسِيد
موعدهم في نزاعة الشوى
ولهم فيها العذاب الشديد
وسَيُبعثُ جيلًا من الشجعان
يُدمر كل ظالمٍ عتيد
وسَيبني آمالًا لكل الشعوب
وخوفًا لكل شيطانٍ مريد

حينما يصل خبر استشهادي
قولوا هذا واحدٌ من عديد

وأُكتبوا أسمي في كتابٍ
سطروه بدماء كل شهيد

★★★

(٨)
قبيلة آل عدنان

ذهبوا جميعًا في طريق متعرج ملتوي، ومن حولهم نتوءات صخرية تحيط بهم من كل مكان، حتى وصلوا إلى مسار ضيق وعن يمينه منحدر شديد الانحدار.
تقدمهم أحمد بحذر، والكل يترقب خطاه، حتى وصلوا إلى نهاية الطريق، ولما رأوا نيران مشتعلة أدركوا أنهم اقتربوا من وجهتهم المنشودة.
مشوا قليلًا حتى وصلوا إلى قبيلة « آل عدنان» هكذا يسمونها.

ولما وصلوا رأوا أُناسًا يعيشون حياة بدائية، وكأنهم من العصر الحجري، يسكنون خيامًا من القماش، ويشعلون نارًا للإنارة والتدفئة، وكذلك لإعداد الطعام المشوي على سيخان من حديد، ويداران كالساقية.
يعيشون حياة بسيطة بالرغم من التقدم التكنولوجي الذي يسود العالم، وكأنهم من عالم آخر.
تقدم لاستقبالهم رجلٌ أربعيني العُمر تظهر عليه علامات الهيبة والوقار، ويرتدى ملابس بدوية، ويُدعى سالمًا.

تكلم مع أحمد، وكان يعرفه قديمًا، ثم عَرفهُ على الفريق فرحب بهم بحرارة، واستضافهم في خيمة الضيوف، وجلبوا لهم طعامًا: لحم مشوي، وأرز بسمتي.

بعدما انتهوا من طعامهم، وشربوا الشاي جلسوا يتسامرون ليلًا.

قال عُمر:

- شكرًا يا شيخ العرب على هذا الكرم الزائد!

قال له بلهجة بدوية:

- لا شكر على واجب، أنتم إخواني، وأولادي، تقدمون كل نفيس في حماية هذه الأراضي التي نعيش عليها.

لولا وجودكم لسيطر الإرهابيون على هذه المنطقة.

قاطع أحمد حديثه قائلًا:

- أعرف قصصكم مع الإرهاب فلتحدثنا بعضًا منها يا شيخ سالم!

قال شيخ العرب:

- لقد ترعرعت في الصحاري المقفرة، وكان الخطر يحدق بي من كل مكان، والشمس المحرقة تنشر أشعتها وحرارتها في كل مكان، ورمال ملتهبة صيفًا، وكالجليد شتاءً، ليس ذلك فحسب، بل كان هناك الزواحف القارسة والذئاب المفترسة.

نشأت وسط أسرة بدوية بسيطة، وبالرغم من بساطتها كان أبي شيخ القبيلة، وكان يُدعى بالشيخ العويضي، تأقلمنا مع الطبيعة ومخاطرها، وظهر أمامنا خطر الإرهاب.

كانوا يُغيرون علينا بأسلحتهم الفتاكة، ويغتصبون النساء، وينهبون قوت يومنا، وحيواتنا، ويخطفون أطفالنا وخاصة الذكور؛ ليضموهم إلى جماعتهم بعد تدريب قاسٍ في نعومة أظفارهم وحداثة سنهم؛ ليشبوا على القتال، ويصبحوا مجندين تابعين خاضعين لهم.

فاجتمعنا بعد تلك الأحداث العصيبة وقررنا جميعًا ترك حياة الترف، والبزخ، والرغد، وأنفقنا كل أموالنا على الأسلحة؛ لمجابهة خطر الإرهاب.

وبالفعل تم جمع الأموال اللازمة من كل أفراد القبيلة، وتم تسليحهم على أعلى مستوى، ودارت الحرب بيننا سجالًا تارةً لنا، وتارةً علينا، ثم جئتم إلينا أيها الأبطال!؛ لتساعدونا وتدعمونا ضد أولئك الأوغاد الذين أكثروا في الأرض الفساد، وخربوا الديار والبلاد، وأرهبوا الدواب والعباد.

نحن معكم مادام في العُمر بقية.

فقاطعه خالد متسائلًا:

- وكيف أصبحت شيخًا للقبيلة؟

أجابه والدمع يتدفق من عينيه كالأنهار الجارية، وتلعثم بكلمات بعد أن أخرجها بصعوبة قائلًا:

- قُتلَ أبي الشجاع، قتله الغادرون عديمو الشرف.

سأله إسلام قائلًا:

- كيف حدث ذلك؟

أجابه الشيخ سالم، وما زالت نبرة صوته حزينة:

- مات مسمومًا في القبيلة، بعدما تسلل أحدهم إلى قبيلتنا، وكان مصابًا حينها فأشفقنا عليه، وداوينا جراحه، وقدمنا له طعامنا، ولكنه نكر الجميل، وتعاون مع الإرهابيين، ونفذ الخطة التي وضعوها لقتل أبي في مراسم زواجي، وبينما الشباب يرقصون على الأغاني البدوية، والنساء على أبهى حُلة بملابسهن البدوية المطرزة، والأطفال يتمايلون طربًا، ويتقافزون كالقرود فرحًا، والموائد مليئة بالأطعمة الدسمة جاء ذلك الشاب وقَدّمَ لوالدي طبقًا من الطعام بعدما مزجه بالسم القاتل، وشكره أبي وشرع في تناوله، وبعدما فرغ منه شعر بألم شديد في معدته، وصار يتصبب عرقًا بغزارة، وخرج الزبد من فيه، ولما رأينا حالته، أسرعنا في طلب الطبيب، وأشتد البكاء والنحيب، ثم جاء الطبيب مسرعًا؛ ليرى حالته، وبعد الفحص عَلمَ أنه تسمم، وأنه لا أمل في نجاته، وقبل الانتهاء من كلامه وفته المنية بعد أن حقق لي أجمل أمنية، ألا وهى زواجي من حبيبتي « ثنية «.

فتأهبت القبيلة، وزيدت الحماية، وأنتفض الأهالي، وعلت الأصوات للثأر من مرتكب الخيانات، وبدأ التحقيق والتدقيق على ما جرى في المكان، وتبين أن ذلك الدخيل ما هو إلا خائنًا بعدما أمسكوه وأقر بجرمه أمام الشهود الذين أوشوا به إلى سالم.

وفي اليوم التالي تم عقد المحكمة والمكونة من سادات القبيلة، وأمام الشهود والأدلة تم الحكم على الخائن بالموت مسمومًا،

وتم تنفيذ القصاص، ورمينا بجثته في الصحراء الشاسعة، لتكون طعامًا للذئاب والطيور، ثم تم اختياري شيخًا للقبيلة بعد تلك الأحداث الأليمة.

قال له عبد الرحمن مهدئا من حزنه:

- لا تحزن يا شيخ سالم! سننتقم لموت الأبرياء.

قال عُمر:

- هل تعرف أحدًا منهم يا شيخ سالم؟!

أجاب:

- نعم، أعرف شخصًا يُسمى بسيف العدل أخو «أبو عوف»، لقد دارت بيننا وبينه المعارك في سواد الليل الحالك، وتحت شعاع الشمس الهالك، لقد ذرعه عدونا الخارجي في أرضنا؛ لتعُم الفوضى، ويدب الخوف في القلوب، وتتشتت القبائل البدوية حتى تصبح الأرض في فوضى عارمة.

سأله محمد مستغربًا:

- أوليس مُسلمًا يا شيخ العرب؟!

أجاب الشيخ سالم:

- إنهم مسلمون أسماءً، والإسلام برئ من أفعالهم، وأقوالهم، فالإسلام دين يدعو للرحمة والتسامح، ونبذ العنف، وحرية

الأديان، وحُرمة الدم بغير حق، لكنهم يشوهون صورة الإسلام بأفعالهم الإجرامية؛ لأنهم صناعة أعداء الإسلام، ولإحكام خططهم الدنيئة يرددون شعاراتنا، ويتلون آيات ربنا، ويتكلمون بسنة حبيبنا كمنافقين المدينة؛ ليُظهروا للعالم كله أنهم مسلمون، ولكنهم لا ينتمون للإسلام بشيء، لقد باعوا دينهم ومعتقدهم، وارتموا في حضن أعداء الإسلام من أجل شهوة دنيوية زائلة: مال، أو سلطة، أو نساء، أو شهرة.

قال أحمد مُخاطبًا إياه:

- صدقت، فإنهم من يصنعون الإرهاب، ويُظهرون للعالم أنهم يحاربونهم، ويدعمونهم سرًا، ويخططون من أجلهم.

وقال يوسف:

- مَن ينظر في التاريخ الإسلامي يجده حافلًا بتسامح المسلمين مع أهل الأديان الأخرى ففي سنة ١٥ هجرية - أي بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) بخمسة أعوام - تمكن المسلمون من فتح كثير من بلاد الشام على إثر معركة اليرموك، ودانت لهم حمص وقنسرين وقيسارية وغزة واللاذقية وحلب، وحيفا ويافا وغيرها. وقد اتجه لفتح بلاد فلسطين قائدان مسلمان هما: عمرو بن العاص، وأبو عبيدة بن الجراح الذي إليه يُعْزَى فضل

إدخال بيت المقدس في الإسلام.

وكان المسلمون قبل تقدمهم لفتح بيت المقدس (إيلياء) قد اشتبكوا مع الروم في معركة حامية الوطيس هي: معركة أجنادين، وانتصروا فيها بعد قتال شديد يشبه قتالهم في اليرموك، وفرَّ كثير من الرومان المهزومين ومنهم «الأرطبون» نفسه إلى إيلياء وقد تقدم المسلمون بفتح (إيلياء) في فصل الشتاء، وأقاموا على ذلك أربعة أشهر في قتال وصبر شديدين، ولما رأى أهل إيلياء أنهم لا طاقة لهم على هذا الحصار، كما رأوا كذلك صبر المسلمين وجلدهم وأشاروا على البطريرك أن يتفاهم معهم، فأجابهم إلى ذلك، فعرض عليهم أبو عبيدة بن الجراح إحدى ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتال، فرضوا بالجزية، والخضوع للمسلمين، مشترطين أن يكون الذي يتسلم المدينة المقدسة هو أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب نفسه (رضى الله عنه)! وقد أرسل أبو عبيدة بن الجراح إلى أمير المؤمنين عُمر بما اتفق عليه الطرفان، فرحب عُمر بحقن الدماء، وسافر إلى بيت المقدس، واستقبله المسلمون في الجابية وهي قرية من قرى الجولان شمال حوران، ثم توجَّه إلى بيت المقدس، فدخلها سنة ١٥هـ - ٦٣٦م، وكان في استقباله «بطريرك المدينة صفرونيوس» وكبار الأساقفة، وبعد أن تحدثوا في شروط التسليم انتهوا إلى إقرار تلك الوثيقة التي اعتبرت من الآثار الخالدة الدالّة على عظمة تسامح المسلمين في التاريخ،

والتي عرفت باسم العهدة العُمرية، ونظرًا لمكانة هذه الوثيقة في الحضارة الإسلامية؛ ولأنها دالة أبلغ الدلالة على مدى تسامح الفتوحات الإسلامية والفاتحين المسلمين، نظرًا لهذين الاعتبارين نورد نصَّها الذي تكاد تجمع عليه المصادر التاريخية الوثيقة:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله (عُمر بن الخطاب) أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضام أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم (ويخلى بيعهم وصلبهم)، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية».

قال عُمر:

- أحسنت يا يوسف! ثم نهض عُمر، وقال:

- نستأذنك يا شيخ سالم؛ للخلود إلى النوم، لأننا سنغادر فجرًا.

قال الشيخ سالم:

- تفضل يا قائد عُمر! لقد سررت بحديثي معكم، وضيافتي لكم، وقبيلتي مفتوحة لكم في أى وقت.

ذهب عُمر وفريقه إلى خيمة الضيوف بعد أن شكروا الشيخ سالم على حسن ضيافته لهم.

وخلدوا جميعًا إلى النوم في الساعة الواحدة صباحًا، واستيقظوا على صوت نسمات الهواء التي كانت تأرجح باب الخيمة الخشبي، فأصبح مفتوحًا على مصرعيه، وبعدما تبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وعلى صوت قرآن الفجر الذي ينبعث من ميكروفون مسجد القبيلة، والذي يلتقط أصوات إذاعة القرآن الكريم من راديو يعمل بالبطاريات، والذي يشهده نفر من الملائكة، ويحيي قلوبًا غفلت عن ذكر ربها، وماتت بعد أن ضلت طريقها الإلهي، وانغمست في الشهوات.

قاموا وتوضأوا ثم صلوا صلاة الفجر، ثم قاموا يجمعون أغراضهم، ويجهزون جنازتهم للمغادرة إلى مقر القوات الخاصة بالعاصمة.

جاءهم الشيخ سالم؛ ليودعهم قبل رحيلهم، فأقبلوا عليه يعانقونه

ويودعونــه بدمــوع حــارة.

★★★

(٩)
أنين المشتاقين ودموع المُحبين

خرجوا إلى طريقهم راجعين إلى العاصمة، ووصلوا إلى مقرهم كأول أمس ومعهم شهيد جديد.
وقفوا جميعًا على جثة ياسر، وأشادوا ببطولاته وبسالته، وأعينهم تفيض بالدمع حَزنًا على فُراقه في ريعان شبابه.
ثم جهزوا موكب الجنازة وانطلقوا إلى قرية تابعة لمركز مغاغة بمحافظة المنيا من محافظات صعيد مصر حيث هناك تقطن عائلة ياسر.

بعد سفر دام أكثر من ثلاث ساعات، وصلوا إلى قرية ريفية على مدخلها ترعة ري زراعي، وكذلك الحقول الخضراء الشاسعة تزين جوانبها بنباتات خضراء جملية وأزهارٍ خلابة ذات عطر فواح، والأغنام والماشية والماعز يرتعون في الحقول الخضراء، ويتغذون على حشائشها، ويجلس بالقرب منهم فلاح يرتشف من كوب شاي أعده على نيران الحطب والأخشاب المترامية على حافة الطريق.

دخلوا إلى القرية يسألون عن الشيخ منصور، فدلوهم على شيخ كبير يجلس على قارعة الطريق، ومن حوله أطفال القرية في حلقة لحفظ القرآن الكريم، فلما رآهم خفق قلبه، وشُلت حركته، وسالت الدموع على خديه، ثم تحامل على نفسه، وقال:

- أين ولدي؟ أين ياسر؟

تجهمت الوجوه، وعجزت الألسنة عن الكلام، حتى جاء نعش ياسر من خلفهم، لتتبين لهم الحقيقة المُرة، وتتكلم الألسنة الخرساء بعد صمت دام بضع دقائق، حينها أقترب اللواء حجازي من الشيخ منصور (والد ياسر)، ووضع يديه على كتفيه، والحزن يجول في المكان، ويأخذ من القلوب مأخذه وسط أهل القرية الطيبة، ثم قال:

- كفكف دموعك يا شيخنا! فولدك يبلغك البشرى، وقُتلَ وهو يزود عن وطنه الغالي، فلقد كان شجاعًا لا يهابُ أشجع الشجعان، ولا غدر الجبان.

تكلم أبو ياسر، والحزن بلغ منه مبلغه بنبرة حزينة، بعدما أجهش بالبكاء:

- لست حزينًا على موت ولدي الكبير (ياسر)، فلا موت أفضل من هذه الموتة، فكلنا راحلون وإلى رحمة ربنا راغبون، ولكن أبكى على مُر الفراق، ولهفة الأشواق بعد حبيب إلى الموت

ساق، وترك الحزن والاشتياق.

وعلى حبيبة فقدت حبيبها قبل عرسها، وعلى أخٍ، أخيه بالنسبة له كل شيء.

وفي تلك الأثناء أتت إليهم فتاة ترتدى ملابس صعيدية: جلابية فضفاضة، وإيشارب، وتبدو كالقمر في ليلة البدر بالرغم من بساطتها، في أوائل العشرين من عُمرها، صاحت وصرخت بحرقة، ودموعها لا تنقطع:

- ياسر! ياسر!

وارتمت في حضن والده، وهى تبكى بشدة ويحاول تهدئتها.

وقال لها مهدئًا من حزنها:

- لا تبكى يا ابنتي، لم تستطيعا الاجتماع في الدنيا فسوف تجتمعا في الأخرة في جناته إن شاء الله!

في تلك اللحظة سأل عُمر عن عبد الله.

فأجابه الشيخ منصور قائلًا:

- لقد رحل بالأمس إلى كليته العسكرية بعد انقضاء أجازته، لقد أقترب موعد تخرجه من الكلية، وينظم إلى صفوف الجنود البواسل.

فقال له عُمر:

- إنه في أمانتنا، وسينضم إلينا قريبًا بناءً على رغبة أخيه الشهيد ياسر.

انصرف الموكب بعدما أتموا المراسم الأخيرة من الجنازة، وبدأت الشمس في الغروب، وعبراتهم تتساقط كالمطر الهاطل في ليالي الشتاء الحزينة على فراق ياسر، ودعوا له جميعًا برحمة من الإله، ومسكنًا مع زمُرة الشهداء.

***

في ظهيرة اليوم التالي اجتمع اللواء حجازي بهم، ودار الحوار حول العمليات الإرهابية الأخيرة، وعن الجنود البواسل الذين ضحوا بحياتهم من أجل وطنهم، ورغبة الإرهابيين في نشر الفوضى وزعزعة الأمن في أراضينا.

ثم عرض على شاشة التليفزيون صورًا متحركة من العمليات الإرهابية في العالم العربي، والتدمير الذي شمل المباني والأفراد.

ثم أنهى حديثه قائلًا:

- حان وقت الإجازة والاستجمام، اذهبوا إلى زيارة أهليكم، فربما فراق بعد اجتماع، لا ندرى ماذا سيحدث غدًا؟ أجازة لمدة أسبوع.

***

في صباح اليوم التالي انطلقوا جميعًا لزيارة أهليهم، والشوق يعتصر فؤادهم، وتمنوا لو أن قطار الزمن يسرع بهم؛ ليصلوا إلى مرادهم، ويلتقوا بأحبابهم الذين لم يروهم منذ أشهر.

تشتتوا في شتى بقاع مصر من الإسكندرية إلى أسوان، كلٌ حسب وجهته وبلده،

ووصل كل واحد منهم إلى وجهته وأطفئ نيران الشوق ولو قليلًا، وانتهت أجازاتهم بعد لحظات جميلة قضوها، وأيام سعيدة انقضت مستحيل يعوضوها.

ثم رجعوا جميعًا إلى مقرهم بعد تجديد نشاطهم، وبدأوا يستعدون للعمليات القادمة، ويتدربون ليلًا ونهارًا، ويخضعون لأقسى التدريبات والاختبارات.

***

بعد أسبوعين من استشهاد ياسر طرأت إليهم عملية خطيرة، وهى عملية لإحباط سرقة المتحف المصري بالعاصمة، حيث وصلت إليهم المعلومات من الأنظمة الاستخباراتية تفيد بأن الإرهابيين يخططون لسرقة الآثار المصرية، وتهريبها إلى الخارج.

قال عُمر منفعلًا:

- لماذا هؤلاء الإرهابيون الأوغاد يريدون تدمير تاريخنا وحضاراتنا؟

أجابه اللواء حجازي:

- إنهم لا يريدوا تدميرنا فحسب، بل أيضا الآثار المسروقة ستكون مصدرًا مهمًا لتمويل عملياتهم الإرهابية بعد بيعها، وبذلك يكونوا ضربوا عصفورين بحجر واحد: دمروا تاريخنا، وحصلوا على التمويل الكافي.

وقال أحمد:

- إنهم يريدوا تدمير بلادنا أمنيًا، واقتصاديًا، وثقافيًا؛ لإحكام سيطرتهم عليها، وتكون فريسة سهلة المنال.

وقال عبد الرحمن:

- إنهم يريدوا محونا جغرافيًا من على الخريطة، ويرسموا حدودًا على أهواءهم، إنهم لا يريدوا وطننا فقط، بل يريدوا العالم العربي كله وخصوصًا العالم الإسلامي.

ثم تكلم خالد قائلًا:

- بل الأدهى من ذلك، والطامة الكبرى إنهم سيفعلون الكثير في بلدنا من تدميرٍ، وتخريبٍ، وقتل أبرياء؛ من أجل إنجاح مخططاتهم المُنحطة.

قاطعهم اللواء حجازي قائلاً:

- ستكون هذه العملية في غاية الصعوبة، وفريدة من نوعها؛ لأنها ستكون عمليات داخل عملية، وسيحاربون من جميع الاتجاهات في آنٍ واحد، لذا كونوا حذرين، هيا يا أبطال فلقد حان الوقت: لتلقنوهم درسًا لم ينسوه أبدًا، وتدمروا خططهم الحاقدة، وتستأصلوا شأفتهم، تقدموا يا أبطال إلى المهمة، وأنقذوا تاريخنا!

★★★

(١٠)
الغرفة رقم (٢٢)

أسرعوا متحمسين إلى مهمتهم الجديدة، وترجلوا من سياراتهم أمام المتحف المصري، ثم أغلقوا كل المداخل والطرق المؤدية إلى ميدان التحرير، والمتحف المصري، وكانت الساعة العاشرة مساءً وقتئذ.

تفقدوا المكان جيدًا، وأخلوا السكان بصمت من المنطقة المجاورة للمتحف، ثم تقدموا إلى مدخل المتحف، وعندما اقتربوا لاحظوا شيئًا غريبًا قد حدث، وجدوا المداخل خالية من الحراس، وسمعوا صوت تكسير الزجاج.

أعطى عُمر تعليماته بسرعة، وأمر كلًا من: مصطفي، وعبد الرحمن، ومحمد بالذهاب إلى المخرج الخلفي فورًا؛ حتى لا يعطوا فرصة لأحدهم بالهروب منه، ثم دخل عُمر إلى المتحف، وخلفه خالد، وأحمد، وإسلام، ويوسف، ولما وصلوا إلى غرفة أزرار التحكم أضاؤوا المكان بالكامل، فرأوا ثلاثة من حرس المتحف مقيدين اليدين والقدمين، وعلى أفواههم شريط لاصق

حتى لا يصدروا صوتًا مطروحين أرضا، فهرولوا إليهم، وفكوا قيودهم وأزاحوا الأشرطة من على أفواههم، فوضعوا الحراس أيديهم على رؤوسهم، وصاحوا متأوهين من شدة الألم.

تكلم معهم عُمر، ليعلم ما الخبر؟

قال أحد الحراس:

- منذ قليل وبينما نتناوب الوردية المسائية للحراسة هجمت علينا من خلفنا مجموعة من المُلثمين، وضربونا على رؤوسنا، وفقدنا الوعى وما شعرنا بالدنيا، حتى رأيناكم أمام أعيننا، ماذا يحدث؟

أجابه عُمر:

- هناك مجموعة من الإرهابيين تسللوا إلى المتحف؛ ليسرقوا تاريخنا.

***

دخل إسلام إلى غرفة المراقبة والتحكم في الطابق الأرضي من المتحف؛ ليتفقد المكان، ويراقبه بواسطة الكاميرات.

وبدأ الفريق في التوغل كثيرًا إلى الداخل، حتى توقفوا بسبب الزجاج المُحطم، والمتناثر في أرضية المتحف.

نظروا إلى التماثيل التي كانت محفوظة خلف الألواح الزجاجية المُحطمة على الأرض، فلم يجدوها.

على الفور تكلم عُمر مع إسلام عبر اللاسلكي:

- ما الوضع يا إسلام؟! هناك بعض القطع الأثرية مفقودة.

أجاب إسلام:

- أعلم يا قائدي! لقد فحصت الكاميرات، ورأيت اللصوص وهم يحطمون الألواح الزجاجية، ويسرقون التماثيل.

ثم صمت لبرهة، ثم أكمل حديثه قائلًا:

- حدثت عملية السطو منذ دقائق، وما زال اللصوص موجودين بداخل المتحف يا قائدي!

قال له عُمر:

- كيف حدثت هذه العملية؟

أجاب إسلام:

- لقد رأيتهم في الكاميرات يضربون الحراس من خلفهم على رؤوسهم، ثم سحبوهم إلى الداخل بعد ذلك بعدما قيدوهم، وطرحوهم أرضًا.

طلب عُمر من إسلام البحث عن مكان اللصوص في المتحف بواسطة كاميرات المراقبة، وبعد ثوانٍ قليلة أبلغه بوجودهم في الطابق العلوي في داخل الغرفة رقم (٢٢)، حيث يوجد بداخلها ممر سري يؤدى إلى محطة مترو السادات.

وأثناء المكالمة التي دارت بين عُمر وإسلام، كان خالد يتفقد المتحف من الداخل، ويرنو إلى الرسومات الفرعونية الجميلة

المنقوشة على جدران المتحف، حقًا إن الفراعنة بناة الحضارة، لن نسمح بسرقة هذا التراث من أيدينا.

وبعدما أنهى عُمر حديثه مع إسلام، أعطى تعليماته بالصعود إلى الطابق العلوي فورًا إلى الغرفة (٢٢)، صعدوا السلالم بسرعة متجاهلين بعضًا من درجاتها، حتى وصلوا إلى ممر واسع، وبحثوا عن الغرفة (٢٢)، حتى وصلوا إليها.

عندما اقتربوا منها خففوا من سرعتهم، وتقدموا لفتح الباب ببطئ شديد، وهم متشوقين لمعرفة ما خلفه، وجالت في خواطرهم الكثير من الأسئلة، والتي لم يعرفوا لها جوابًا إلا بعد فتح الباب.

- هل سنُعيد آثارنا المفقودة؟
- ومَن الذي قام بهذا العمل الدنيء؟
- تُرى يكون أبا عوف، أم شخص آخر؟
- وهل مازال اللصوص موجودين بالداخل، أم هربوا عبر النفق؟
- ولماذا دخلوا إلى هذه الغرفة بالذات، بالرغم من وجود مخارج أخرى للمتحف بخلاف هذه الغرفة؟

دخلوا إلى الداخل، ولم يكن أحدًا من اللصوص بداخلها، ثم تفقدوا الغرفة جيدًا،حتى لاحظوا بابًا حجريًا داخل الغرفة، ويُفتح عن طريق سلسلة حديدية تتدلى من أعلاه، ويتم سحبها لأسفل بقوة؛ لكى يُفتح الباب.

وبسرعة البرق وبدون أية مقدمات اندفعا أحمد، ويوسف إلى السلسلة، وسحبا السلسلة بكل ما أوتيا من قوة، حتى فتحا ذلك الباب الحجري.

أصبح الأمر مُعقدًا بعدما تحركوا قليلًا داخل الممر خلف الباب الحجري، بعدما أنقسم النفق إلى ممرين (نفقين)، حينها توقفوا قليلًا، وهم في حيرة من أمرهم وتسألوا:

- من أي هذين الممرين هرب اللصوص؟

وقطع حيرتهم صوت داخل الممر الأيسر، فتحركوا مسرعين إليه، وغاصوا في أعماقه باحثين عن اللصوص، حتى وصلوا إلى نهايته، ولمحوا ثلاثة أشخاص يهربون بداخله.

***

كان محمد، وعبد الرحمن، ومصطفي متأهبين للظروف الطارئة، ولمحوا ثلاثة يتسللون من النفق المؤدى للمخرج الذي كانوا يحرسونه، وعندما لمحوهم اختبأوا ونصبوا لهم كمينًا، ثم بادروهم بإطلاق الرصاص عليهم، حتى حشروهم في الزاوية بعدما ألتف عبد الرحمن من خلفهم، وقبضوا عليهم.

وفي تلك اللحظة خرج عُمر وباقي فريقه من الممر الأيسر الذي كان يهرب من خلاله اللصوص الثلاثة، وعلموا أن هذا الممر

يـؤدى إلـى المخـرج الخلفـي للمتحـف، وأن فـي هـذا الأمـر مكيـدة.
فذهـب عُمـر مسـرعًا إلـى الإرهابييـن الذيـن فـي قبضـة محمد، وشـرع فـي اسـتجوابهم علـى الفـور دون إضاعـة الوقت.
سأل أحدهم:
- أين الآثار المسروقة؟
فأجابه:
- لا أعلم شيئًا.
فسأله عُمر بغيظ شديد:
- هل معكم آخرون؟
فسـكت الإرهابـي، ولـم يجبـه، فلكمـه عُمـر لكمـة قويـة فـي وجهـه سـالت الدمـاء مـن أثرهـا،و إنهـال عليـه باللكمـات المتتابعـة ممسـكًا بملابسـه يعنفـه، ويزجـره، وقـال لـه صارخًـا:
- أجبني يا هذا!
فقال له وهو يتنهد:
- توقـف، سـأتكلم، كنـا عشـرة أشـخاص عندمـا اقتحمنـا هـذا المتحـف، وعندمـا علمنـا بقدومكـم ذهبنـا مسـرعين إلـى الغرفـة (٢٢)، ومعنـا التماثيـل التـي اسـتطعنا فكهـا مـن الألـواح الزجاجيـة؛ لكـى نهـرب منكـم، ثـم فتحنـا البـاب الحجـري، وكنـا نعلـم قصـة الممريـن حيـث كان بحوزتنـا خريطـة قديمـة للمتحـف المصـري.
ولما أحسسنا باقترابكم منا، وضع زعيمنا الخطة الثانية.

فسأله عُمر:

- وما هي الخطة الثانية؟

أجابه:

- أن نسلك – نحن الثلاثة – الممر الأيسر، ونصدر صوتًا؛ لنشتت انتباههم، وتذهبوا خلفنا، ويكون زعيمنا والستة الآخرون في مأمنٍ في الممر الأيمن والذي يؤدى إلى محطة مترو السادات.

قال عُمر:

- ومن هو زعيمكم؟

- ولماذا ذهبوا إلى محطة المترو بالذات؟

أجابه:

- زعيمنا هو «سيف العدل» شقيق «أبو عوف»

قال له عُمر مستغربًا:

- أخو «أبو عوف»؟

قال:

- نعم، إنهم يخططون لنشر الفوضى، حتى يستطيعوا الهروب من ذلك المكان.

قال له عُمر:

- كيف سينشرون الفوضى في المكان؟

أجابه قائلًا:

- سيزرعون قنابل في محطة المترو، وسيفعلون أفاعيلهم،

وسينشرون الكذب من أقاويلهم، لإلهاء الشرطة وتضليلهم، وإبعاد العيون عن «سيف العدل «، والذي سينتهز هذه الفرصة، وسيركب المترو المتجه لمحطة الجيزة.

بعدما سمع عُمر حديثه لطمه على خديه لطمة قوية؛ هوى من أثرها طريحًا على الأرض، ثم أمر خالد بجمع الفريق، واستعجالهم؛ للذهاب لمحطة مترو السادات، وقام بإبلاغ الجهات المختصة بهذا الوضع.

بعد تلك الأحداث تسرب القلق إلى الفريق، وضاقت عليهم أنفسهم بعدما عَلموا بنية «سيف العدل»، والذي رمى لهم طُعمًا، ليسلكوا الطريق الخاطئ، ويلوذ بالفرار هو وباقي جماعته، وأن هروبه من غرفة (٢٢) ما هي إلا خطة لعملية كارثية سيقومون بها.

***

أسرع الفريق تجاه محطة مترو السادات في ميدان التحرير، وما هي إلا دقائق معدودة، حتى وصلوا إلى رصيف خط المنيب.

وانتشر الفريق في المحطة، ومعهم رجال الشرطة بكلابهم البوليسية يبحثون في كل شبر عن سيف العدل وجماعته الخطيرة، وشتت انتباههم رجل هرول مسرعًا عندما رآهم عند دورات المياه الموجودة داخل المحطة.

فتعقبوه مسرعين، ولما اقتربوا منه نزع قميصه وصاح عُمر محذرًا:

- ابتعدوا، ابتعدوا، إنه يرتدى حزامًا ناسفًا، وما هي إلا لحظات قليلة حتى انفجر، وقتل معه ثلاثة أشخاص مدنيين تناثرت أشلاءهم في كل مكان.

ساد الزعر في المكان، وعلت الأصوات، وازدادت النبضات، وأسرعت الحركات، ودب الخوف في قلوب الركاب، وازداد الأمر سوءاً، حينما وجدوا آخر ألقى عليهم قنبلة غازية مسيلة للدموع، أودت بحياة خمسة أشخاص من رجال الشرطة ماتوا بسبب الاختناق الشديد، وضيق التنفس.

★★★

(١١)
القبض على سيف العدل

بسبب تلك الأحداث المتزامنة تكلم عُمر إلى الإدارة العامة للمترو، وطلب منهم إيقاف حركة قطارات المترو، وإخلاء المحطة من الركاب، وغلقها حتى يمسكوا بذلك الإرهابي الحقير.
وعلى الفور قامت الهيئات المختصة بعمل اللازم، واتخاذ التدابير الأمنية المشددة، واستطاعوا القبض على أربعة أشخاص آخرين من رجال سيف العدل، بعدما حاصروهم فوق سلالم اتجاه حلوان يحاولون الهرب وسط الزحام.
فقاموا باستجوابهم والتحقيق معهم، وعلموا بهروب سيف العدل من نفق مترو الجيزة.

أسرعوا خلفه يلاحقونه في النفق، ويعيق سرعتهم القضبان الحديدية لسكة المترو، والحصى المتواجد بكثرة بين أخشاب القضبان، ولمحه أحد رجال الشرطة، وأطلق على قدميه، فأصابته رصاصة بطئت من حركته، وعاقت تقدمه، وأدرك أنهم مدركيه لا محالة، فقام بنصب فخ لهم.
أخرج من حقيبته متفجرات وقام بدسها تحت القضبان، وعندما

أدركوه كان قد أنهى عمله، وذهب إليه محمد مسرعًا، ولم يلاحظ المتفجرات المدسوسة أرضا، يريد الانقضاض على فريسته كالأسد، وما أن أقترب منه، صرخ أحمد:

- توقف يا محمد! يوجد قنبلة، وما أن ألتفت خلفه شعر بصوت تكة لفتيل قد تم سحبه تحت قدميه أثر اصطدامها به، ونظر إليهم نظرة خلعت قلوبهم،

ثم تناثرت أشلاءه في كل مكان، وذُهل الجميع، وعلموا أن النظرة الأخيرة لمحمد ما هي إلا نظرة وداع لأحبة نحتوا بصماتهم في جبال سيناء.

أقتنص سيف العدل تلك الفرصة، وفر هاربًا منهم، ولكن أدركه خالد وأمسك به، وإنهال عليه ضربًا مبرحًا أدمى به وجهه، وظل يركله بقدميه في بطنه، حتى كادت تخرج أنفاسه.

صرخ عُمر بصوت حزين:

- توقف يا خالد! نريده حيًا.

توقف خالد عن ضربه وقيده بالأغلال، وساقه أمامه يركله بقدميه بين الحين والآخر، وينهره، ويشتمه حتى وصلوا إلى محطة المترو.

عادت الحياة لطبيعتها في المحطة، وغادر الفريق المكان، ومعهم

سيف العدل، ودموعًا، وجراحًا لفقدان محمد، وظلت الذكريات الحزينة تطارد خيالهم:
«زكريا»، ثم «ياسر»، ثم «محمد» الذي لم يستطيعوا العثور على جثمانه، بعدما تناثرت أشلاءه، وأصبحت قطعًا صغيرة جدًا لا يستطيعون جمعها؛ بسبب الانفجار الواقع في نفق محطة المترو.

وصلوا إلى مقرهم واستقبلهم اللواء حجازي، وجمعٌ غفير من الجنود، وتشاطر معهم آلامهم، وأحزانهم.
مضت مدة قصيرة على وصول الفريق، وجاءت الأنظمة الاستخباراتية؛ لاستلام سيف العدل للتحقيق معه، وبعدما أخذوه أستأذن منهم عُمر لحضور التحقيق مع ذلك القاتل، فأذنوا له على أن يأتي إليهم في الصباح الباكر من اليوم التالي.

في صباح اليوم التالي بدأ التحقيق مع سيف العدل، والذي سيقوم بالتحقيق معه عُمر، ومعه رجل من الاستخبارات.
دخلوا إلى غرفة التحقيق حيث الإضاءة الخافتة، والنوافذ المغلقة، ثم جلسوا على منضدة في منتصف الغرفة، جلس عُمر بجوار الاستخباراتي، وجلس سيف العدل في الناحية الأخرى حيث أصبحت الوجوه متقابلة، وهو مُكبل بأصفاده، وبدأ عُمر الاستجواب قائلًا:

- أَعلمُ أنك يا سيف العدل ذراع أبو عوف الأيمن، وبالقبض عليك قيدنا إحدى
يديه، ودمرنا خططًا لا تكتمل بدونك.

ثم سأله عُمر محاولًا استفزازه:

- تُرى كيف حالة « أبو عوف» الآن؟

ثم أكمل حديثه مجيبًا على سؤاله:

- لا أكتمكَ سرًا عن « أبي عوف» بعدما قُبض عليك، إنه في حالة مزاجية سيئة، وربما أصبح غاضبًا، وثائرًا، لكنه لا يستطيع فعل شيء.

قاطعه سيف العدل قائلًا:

- ربما أنت محق جزئيًا، ولكنك لا تعرف «أبو عوف» جيدًا، إنه لا يستسلم أبدًا، حتى ولو قبضتم عليه.

قال عُمر:

- أنت مخطئ يا سيف العدل! ولكن دع الأيام تثبت لك هذا. والآن ندخل في صميم موضوعنا.

قال له سيف العدل بنبرة استفزازية:

- وما هو ذلك الموضوع؟

ضرب عُمر بيديه على المنضدة بقوة، وقال بكلمات شديدة اللهجة:

- لا تتكلم حتى أطلب منك الكلام، أو بعدما انتهى من كلامي.

ثم سأله عُمر، وهو يحدق إليه:

- ما قصة أبو عوف، ولماذا تهاجمون أرضنا دون غيرها؟

صمت سيف العدل ولم يجبه، حتى قام عُمر، وركل كرسيه، وصفعه بقوة على وجهه، ثم قال صارخا:

- أجبني يا هذا! لا تختبر صبري، فإنما لصبري حدود.

قال سيف العدل وهو يتنهد، وضربات قلبه في تسارع من هول الموقف:

- حسنًا، سأخبرك بكل ما تريد.

ثم أكمل حديثه بعدما ألتقط أنفاسه قائلًا:

- نشأت أنا وإخوتي في أسرة متوسطة الحال وسط الاحتلال الغاصب لأرضنا بعد حرب الأسلحة الفاسدة، ونكسة سبعة وستين، وكبرنا في أرضنا غرباء.

العدو ملأ شوارعنا، وضاق بنا الحال بعد الحصار الذي فرضوه علينا، وتضور الشعب جوعًا، ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل كمموا أفواهنا، واغتصبوا حريتنا، وفرقوا وحدتنا.

كل من يتكلم أو يثور ضد قوات الاحتلال يتم اغتياله وسحله، أو حبسه في سجون شديدة الحراسة، ويتفننون بكل أنواع طرق التعذيب، حتى يصل الأمر إلى الموت، أو الجنون، أو عاهة مستديمة.

وفي ليلة غاب فيها القمر من سماء حريتنا، وأحاط السواد بنا بجوانحه، ونشبت حركات المقاومة تثور، وتشن غاراتها على

العدو الغاصب، وقامت حرب قاسية بأحجار جمعوها، وبعض من الأسلحة القليلة التي استطاعوا الحصول عليها بصعوبة؛ نظرًا للحراسة الشديدة للحدود الخارجية، والحصار القاتل من العدو، ومنعنا من التسليح.

وتواجه الفريقان، واندلعت أصوات النيران، وتساقطت الجثث أكوام، حتى ملئت المكان، وأصبحت الشوارع أنهارًا من الدماء، ولم يكفيهم قتالنا في الشوارع، بل ذهبوا إلى بيوتنا، وقتلوا أطفالنا، واغتصبوا نساءنا، وشتتوا أطفالنا.

قال عُمر مستغربًا:

- وما علاقة هذا بنا؟

أجابه سيف العدل قائلًا:

- في تلك الليلة قُتل جميع عائلتي: اخواتي، ونساءنا، وأطفالنا، وأمي، وأبي، ولم يبقى منا إلا أنا، وأبو عوف، وأخي.

بعدها اعتقلتنا قوات الاحتلال، وزجوا بنا داخل السجون، وفي نفس الليلة قابلنا أحد قيادتهم العليا ويُدعى الجنرال دانيال، وقال لنا:

- لسنا المسئولون عن ما حدث لعائلتكم، ولكن يوجد بيننا جواسيس من الجيش المصري قاموا بحملة، وقتلوا كل أهليكم، حتى يتملككم الغضب، وتثور ثائرتكم، وتعم الفوضى في هذا المكان.

فسألنا:

- وما هي علاقة الجيش المصري بهذه الحملات؟

فأجاب الجنرال دانيال:

- إنهم لا يريدوا استقرارنا ووحدتنا، ويريدوا دمارنا؛ حتى ننشغل بمشاكلنا الداخلية، ولا ننشغل بهم.

ثم عرضوا لنا فيديو لجنود مُلثمين يقتحمون المنازل، ويقتلون الأبرياء، وبعدما انتهى العرض قال لنا:

- إنهم جنود مصريون، أرأيتم كيف يقتلون شعبنا؟

ثم عرض علينا العمل معهم مقابل إمدادنا بكل احتياجاتنا من أسلحة، وأموال بشرط زعزعة الأمن في سيناء، وترهيب الأهالي حتى يستطيعوا انتزاع الأراضي بسهولة من بين أيديهم.

قال عُمر مستغربًا:

- هل صدّقتم تلك التفاهات، والخزعبلات؟ ونحن جيش عربي مسلم نحزن لحزنكم، ونحارب من أجل قضيتكم، لن نقتل إخواننا ظُلمًا، ولن ندعم عدوًا لهم، كيف صدقتم هذه الهراءات؟

ثم هدأ قليلا، ثم أكمل حديثه:

- لست ألوم شعبكم المقاوم على خيانتكم، والذي عُرف ببسالته ورفضه للاحتلال ومقاومته لسنوات، وإنما ألوم خائنًا خان وطنه، وباع دينه.

قال سيف العدل:

- وماذا يفعل معهم الفيديو الذي بحوزتهم؟

قاطعه عُمر قائلًا:

- إنهم استخفوا بعقولكم أيها الجاهل! وفبركوا ذلك الفيديو، لو كل شخص صدَّق أكاذيبهم، وإشاعاتهم، وافتراءاتهم لسقطت الدول العربية بأيديهم، أنسيتم الدُرة، وأحمد ياسين، والمجازر التي فعلوها بشعبكم؟

قال سيف العدل بخبث:

- أعَلمُ أنني أخطأت بتعاوني معهم، وصدَّقت أكاذيبهم، ولكن لا عودة من هذا الطريق.

ثم سكت لبرهة، ثم تكلم بعد تفكير:

- سأفعل كل شيء تريده منى، سأساعدكم بشرط أن تخلوا سبيلي.

قال عُمر بغضب شديد:

- كيف سنثق بك بعد كل تلك الخيانات؟ لن نسامح خائنًا ولو كان مسلمًا، وقريبًا سنأخذ أخاك - أبا عوف – أيها الخائن! الذي تعاون مع عدوه ونسى ما حدث منه لشعبه ووطنه، ولكن أخبرني أين التماثيل التي سرقتموها؟

أجاب سيف العدل:

- إنها في أمان مع أخي.

قاطعه عُمر مستفهمًا:

- تقصد «أبو عوف»؟

قال:

- لا، أعنى أخي الثاني «درع الحق».

قال عُمر متعجبًا:

- أنت سيف العدل، ولكنك ظالم لنفسك، ودينك، وشعبك، وأخاك « درع الحق «، ولا يربطه بالحق سوى اسمه، إنه على الباطل، بل أنتم تخادعوننا بأسمائكم، وانتمائكم الزائف.

ثم قال عُمر مستطردًا حديثه:

- حينما هاجمتم المتحف كان عددكم عشرة أشخاص: قبضنا على ثلاثة في المتحف، وأربعة في محطة المترو، وانتحر اثنان، وها أنت العاشر بين أيدينا، من أين ظهر «درع الحق» ذاك؟!

أجابه سيف العدل وتعلوه ابتسامة الانتصار قائلًا:

- الخطة التي وضعناها لم تكن لهروبي، ولكن لتشتيت انتباهكم، وعدم لفت الأنظار تجاه أخي «درع الحق»، والذي كان بدوره في انتظارنا بمحطة مترو السادات، وأثناء مطاردتكم لرجالي، سنحت لي الفرصة، وقابلت أخي، وسلمته التماثيل الأثرية، ثم شرعنا في تنفيذ باقي الخطة حتى استطاع الهرب.

تكلم عُمر وهو شاهرًا بيده نحوه:

- أيها اللعين! سوف أقتلك، سوف أقضى على كل أخوتك، وعلى كل إرهابي، وعلى كل خائن سولت له نفسه بالعبث معنا، لن أسامح أحدًا، ولن أرحم أحدًا منكم.

ثم صمت لبرهة، وأستطرد حديثه قائلًا:

- لماذا تخفون «درع الحق»، ولا تظهرونه للجميع؟

أجابه سيف العدل:

- نحن لا نخفيه، وإنما يشارك معنا في كل عملياتنا، وكان معنا في معسكر الشيخ زويد الذي اقتحمتموه، وقتلتم رجالنا.

قال عُمر مستنتجًا:

- إذن كان الثلاثة الهاربون هناك: أنت، وأبو عوف، ودرع الحق.

قال سيف العدل:

- نعم، لقد كنا هناك.

فوقف عُمر، وأسرع نحوه، وجذبه من ملابسه، وكاد أن يخنقه وصرخ قائلًا:

- أيها الأوغاد! أيها القَتلة! أنتم السبب في موت زكريا.

فقام الاستخباراتي، وجذب عُمر نحوه مهدئًا من غضبه قائلًا له:

- أهدأ يا عُمر! لا تقلق سينال عقابه عاجلًا أو أجلًا.

وقف سيف العدل يأخذ نفسه بصعوبة، ويُخرجُ زفيرًا كان محبوسًا، وعيناه حمراوان، ثم شرع في ترتيب هندامه.

ثم تكلم الاستخباراتي إلى عُمر، وقال له:

- هيا يا عُمر نخرج إلى الخارج! وغدًا سنعاود التحقيق من حيث انتهينا.

خـرج سـويًا، وأمـرا أحـد الحـراس وكان واقفًـا أمـام غرفـة التحقيـق بأخـذ سـيف العـدل إلـى القفـص الحديـدي.

ثـم تجـولا خـارج المبنـى فـي حديقـة مليئـة بالأشـجار المثمـرة، والأزهـار الجميلـة الزاهيـة وسـط تغريـدات الطيـور الجميلـة، ونفـورات الميـاه اللامعـة كالمـاس شـديد البريـق، والتـي تريـح أعيـن الناظريـن، وتشـرح قلـوب المهمومين.

تكلما قليلًا، ثم أستأذن عُمر وغادر إلى مقر القوات الخاصة.

★★★

(١٢)
الخطة الثالثة – خدعة الهروب

وفي اليوم التالي من التحقيق شعر سيف العدل بغثيان شديدٍ، ورغبةً في التقيؤ، وساءت حالته مما أدى إلى تأهب في مقر الأجهزة الاستخباراتية

وبعد دقائق قليلة جاءت سيارة الإسعاف؛ لتنقله إلي المستشفى الصحي.

تحركت السيارة على طريق مستقيم، ومن خلفها سيارات الشرطة، ثم انعطفت يمينًا نحو طريق مهجور يبدو أن أحدهم لم يسلكه من قبل حيث لا يوجد آثار سير سيارات، أو حتى أقدام بشر.

فقال أحدهم للسائق:

- لماذا ذهبت من هذا الطريق؟

قال السائق:

- ألا ترى هذه الإشارة، والمكتوب عليها ممنوع السير من هذا الطريق.

فقاطعه قائلًا:

- توقف لا يمكننا السير من هذا الطريق، فتوقف السائق وترجل

رجـال الشـرطة مـن سـياراتهم، واتجهـوا ناحيـة سـيارة الإسـعاف؛ ليـروا مـا فـي الأمـر،

وتكلم أحدهم متسائلًا:

- لماذا توقفتم؟

فرد عليه السائق قائلًا:

- الطريق مغلق يا سيدي، لا نستطيع السير فيه.

قال رجل الشرطة، وهو يشير بيده إلى الطريق الرئيسي:

- لماذا هذا الطريق مغلقًا، لقد أتيت منه صباحًا.

ثم أمر السائق بالتحرك في الطريق المنعطف يمينًا.

تحركـوا جميعًـا فـي طريـق غيـر مسـتوٍ، وسـياراتهم تتأرجـح يمينًـا وشـمالًا،حتى شَـلت حركتهـم شـجرة كانـت سـاقطة فـي وسـط الطريق. فترجلـوا مـن سـياراتهم، واتجهـوا نحوهـا، ولكـن كانـت المفاجـأة الغيـر سارة

بانتظارهم.

فجـأة ظهـر أمامهـم رجـال «أبـو عـوف»، وسـارعوهم بإطـلاق النـار عليهـم، حتـى أُصيـب عـدد كبيـر مـن رجـال الشـرطة، وصـرخ أحدهـم بصـوت عـالٍ:

- نريد «سيف العدل» سلمونا إياه.

وأجاب عليهم أحد رجال الشرطة صارخًا:

- لن نسمح بذلك حتى آخر قطرة من دمائنا.

فـي ذلـك الوقـت كان عُمـر متجهًـا إلـى مقـر الأجهـزة الاسـتخباراتية، ولمـا وصـل عنـد مفتـرق الطـرق، وكان علـى مقربـة منهـم سـمع صـوت الرصـاص، وصرخـات اسـتغاثة تأتـي مـن ناحيـة الطريـق المهجـور.

بسـرعة أخـرج جهـازه اللاسـلكي وأخبـر رجـال الشـرطة بمـا سـمعه، وطلـب منهـم دعمًـا عاجـلًا إلـى تلـك المنطقـة.

عَلِمَ عُمـر بمـرض سـيف العـدل بعدما أتصـل بصديقـه الاسـتخباراتي؛ ليخبـره بأنـه سـيتأخر عـن موعـد التحقيـق؛ بسـبب وجـود وضـع طـارئ،

وأخبـره صديقـه الاسـتخباراتي بعـدم وجـود تحقيـق اليـوم، لذهـاب «سـيف العـدل» إلـى المستشـفى للعـلاج.

فسأله عُمر:

- من أين ذهبوا إلى المستشفى؟

أجابه الاستخباراتي:

- ذهبوا من الطريق الرئيسي منذ نصف ساعة.

قال عُمر محللًا وهو يتمتم بكلمات:

- الطريـق الرئيسـي مغلـق ولا أعلـم السـبب، ويوجـد طريـق آخـر منعطـف يمينًـا عنـد الإشـارة، والمسـافة بيـن مقـر الاسـتخبارات وهـذا الطريـق حوالـى نصـف سـاعة، كمـا يوجـد آثـار حديثـة لسـير

السيارات، ثم صمت عُمر لوهلة وقال صارخًا:
- إنه فخ، وصوت الرصاص الواصل إلى مسامعي ما هو إلا هجوم مسلح على رجال الشرطة، ومحاولة لتهريب «سيف العدل» سأنطلق نحوهم فورًا.

***

من على سرير في سيارة الإسعاف قام سيف العدل، ونزع الأنابيب الموصلة به وجهاز تنفس الأكسجين، ولاحظ وجود طفاية حريق بالقرب منه، فحمل الأسطوانة، وضرب بها الممرض المتواجد معه على رأسه في حين غفلة منه، وقفز من سيارة الإسعاف هاربًا.
أثناء هروبه لمحه أحد رجال الشرطة بطرفه، وصاح صارخًا:
- إنه يهرب، وقطع صراخه رصاصة أصابته في رأسه، فخر منها صريعًا.

بعد دقائق قليلة من الالتحام وصل عُمر إليهم، وحاول السيطرة على الوضع، فقام بجمع فلول رجال الشرطة المبعثرة، والتي ظلت تقاوم، حتى وصوله إليهم.
وقام عُمر بتنظيم القتال، وسد الثغرات المفتوحة في خطوط الشرطة، والتي كانت سببًا للفتك بمعظم رجال الشرطة.

وبينما القتال في أشده، والرصاصات التي كانت بحوزة رجال الشرطة على وشك النفاد، وأدركوا أنهم هالكون لا محالة ترامى إلى مسامعهم صوت سرينة لسيارة رجال الشرطة جاءت للدعم، ولما سمعوا تلك الصوت دب الأمل في نفوسهم، وبلغ الحماس فيهم مبلغه، وكأن أحدهم عاد من القبر بعدما دفنوه حيًا، وفرح بنجاته وحياته.

وأتت أيضا مروحية القوات الخاصة وهبطت خلف رجال أبو عوف، وطوقوا المكان، وحشروهم في الزاوية، وأطبقوا عليهم قبضتهم، وحمي القتال، وانتصر الأبطال، ومات الرجال، وقبضوا على سيف العدل مرة أخرى وقال غاضبًا:

- اقتلوني هنا، لا أريد الذهاب معكم.

قال عُمر مخاطبًا إياه:

- ليس الآن أيها المخادع! ولكن أخبرني الآن عن خطة الهروب التي فشلت للتو.

قال سيف العدل بغضب:

- إنها الخطة الثالثة، ثم سكت لوهلة ثم تابع حديثه قائلًا:

- لم أكن لأسلم نفسي لكم، وأقذفها وسط النيران دون خطة للهروب، لقد خططت لكل شيء مسبقًا، ولكن لسوء حظي فشلت

الخطـة الثالثـة.

سأله عُمر:

- وما هي الخطة الثالثة؟

أجابه قائلًا:

- لقـد رميـت بنفسـى أمامكـم، وجعلتهـا عمـدًا فريسـة سـهلة المنـال؛ حتـى تنجـح خطـة تهريـب التماثيـل الأثريـة، ووضعـت خطـة للهـروب؛ لعلمـي بقدومكـم خلفنـا، وسـتفعلون المسـتحيل؛ لتأخذونـي لتحققـوا معـي فـي مقـر الاسـتخبارات، فأخفيـت فـي ملابسـي دواءً، وأخرجـه لـه ثـم أشـار إليـه بأصبعـه قائـلًا:

- مَـن يتنـاول هـذا الـدواء يُصـابُ بأعـراض التسـمم؟ لقـد تناولـت هـذا الـدواء وانقلبـت الدنيـا رأسًـا علـى عقـب بسـبب مـا حصـل لـي، لأنكـم تعرفـون أن موتـي ليـس فـي مصلحتكـم الآن، لأنكـم تريـدون الحصـول علـى المعلومـات التـي بحوزتـي، وسـتحضرون سـيارة الإسـعاف؛ لنقلـى إلـى المستشـفى، وقـد كنـت اتفقـت مـع أخـي» درع الحـق «بإبـلاغ خطتـي لأبـا عـوف، وطلبـت منـه إرسـال رجالـه صباحًـا إلـى الطريـق لكـى ينصبـوا فخًـا ويهربوننـي، ولكنهـم فشـلوا ونتيجـة فشـلهم، وقوعـي بيـن أيديكـم.

قال له عُمر مُخاطبًا إياه:

- هل ظننت أنك ستهرب من بين أيدينا؟

فرصتك الوحيدة للنجاة من بين أيدينا هي الموت.

قال سيف العدل متمتمًا بكلمات لم يسمعها عُمر:

- سترى ما سأفعله.

لما سمع سيف العدل تلك الكلمات أوجس في نفسه خيفة، وقال في نفسه ملاذي الوحيد هو الهروب مهما كلف الأمر، لن يسمحوا بخروجي مرة أخرى بعدما كشفوا خطتي.

ظل يفكر في مخرج حتى قطع حبل أفكاره صوت مشادة بين رجال الشرطة، ورجال الاستخبارات كل منهم يريد سيف العدل لنفسه للتحقيق معه بسبب الأرواح التي أُذهقت من رجال الشرطة.

انتهز سيف العدل هذه الفرصة وفر هاربًا، فصرخ أحد رجال الشرطة:

- إنه يهرب... يهرب.

ركضوا جميعًا خلفه كركض الوحوش في البرية، ولكن المسافات قد تباعدت، ورأوا سيارة تحوم بالقرب منه فأطلقوا النار عليه خوفًا من هروبه، وأصابته عدة طلقات في ظهره أسقطته أرضًا.

أسرعوا نحوه، وحركوا جسده فوجدوه ميتًا ثم تركوه وانصرفوا بعدما قال أحد رجال الشركة لعُمر:

- لماذا نتركه هنا؟ دعنا نأخذه معنا أيها القائد!

فرد عليه عُمر قائلًا:

- أتركوه في مكانه، دعنا لا ننشغل به فإنه لم ينفعنا حيًا، أينفعنا وهو ميت؟

★★★

(١٣)
الخطة المزدوجة

وصلت الأخبار في سرعة الريح إلى أبي عوف، بعدما أخذته السيارة التي كانت تحوم بالقرب منه ميتًا إلى أخويه، فحزنا حُزنًا شديدًا على أخيهم، وقررا أن يردا الصاع صاعين، وأن ينتقما لأخيهما من كل أجهزة الدولة.
دار الحوار، وكثر الشجار بين الإخوة الأشرار، واستقر الأمر بعدما ربطا على قلوبهما على بيع الآثار أولًا، ثم الثأر لمقتل سيف العدل.

أجرى «أبو عوف» اتصالًا بصديق أجنبي، ورتب معه موعدًا؛ لتسليم الآثار إليه مقابل مبلغًا زهيدًا من العملات الأجنبية بعد أسبوع في ميناء السويس.
ثم قررا « أبو عوف» و« درع الحق» القيام بعملية مزدوجة في هذه المرة؛ انتقامًا لأخيهم سيف العدل؛ وردًا على حملات رجال الشرطة، ورجال القوات الخاصة، والاستخبارات، والتي تسببت بخسائر فادحة في أرواح رجالهم، وبعدها « سيف العدل «، ولكن هذه المرة ستكون حربًا من نوع آخر.

مر أسبوع وفي يوم التسليم انطلق «أبو عوف» بنفسه إلى ميناء السويس، وانطلق «درع الحق» إلى البنك المركزي.
تسلل أبو عوف إلى داخل الميناء متخفيًا عن أعين الشرطة، ووقف يتفقد المكان من حوله، وأصوات الباخرات تملأ المكان ودخانها يتصاعد كهالات سحابية إلى السماء، وأوناش ضخمة في كل مكان بالقرب من الشاطئ تفرغ شحنات البضائع المحملة على متن السفن، وتضعها في أماكن مخصصة لها على الميناء، وتتحرك بانسيابية عالية، وأناسٌ يحملون حقائبهم يصعدون إلى سطح سفينة على وشك الإبحار.

تحرك باتجاه الشاطئ، ونظر متأملًا لموجات المياه المتدافعة والمرتطمة بقوة بالشاطئ، والتي كانت تحركها رياح عاصفة، ورأى انعكاسًا لصورته في لوحة زرقاء كلون السماء الصافية.
ثم راح يبحث عن ضالته المنشودة، حتى وقع بصره على رجل يرتدى بدلة بيضاء، أبيض البشرة ذو شعر أشقر، ويمسك بيده اليمنى حقيبة سوداء، ويحمل بيده اليسرى قبعة بيضاء اللون.
تحرك نحوه دون أن يلفت الأنظار، ثم صافحه بابتسامة عريضة قائلًا:

- مرحبا بصديقي جون، كيف كانت رحلتك عبر البحار؟

أجابه بلكنة عربية مكسرة:

- أهلًا يا صديقي! لقد كانت رحلتي مليئةً بالمغامرات ما بين أمواج عالية، ورياح عاتية، وأسماك القرش ذات الأنياب الحادة والتي كانت تُطاردنا، بالرغم من كل ذلك إلا إنها كانت رحلة جيدة وطويلة أيضًا.

قاطعه أبو عوف قائلًا:

- لا مشكلة المهم أنك أتيت في ميعادك المحدد.

ثم سأله قائلًا:

- أين النقود؟

رد عليه جون قائلًا:

- أريد أن أرى البضاعة أولًا، ربما تكون تماثيل مزيفة وليست آثار تاريخية حقيقية، دع الصداقة جانبًا الآن ففي أعمالي لا أعرف أبي.

قال له أبو عوف بنبره مليئة بالثقة:

- إنها أصلية يا صديقي! إنها من العصور الفرعونية الوسطى. ثم دفع كل منهما بحقيبته إلى الآخر.

قام جون بفتحها ورأى تماثيل أثرية ذهبية لمخلوقات تتجسد في جسد إنسان، ورأس حيوان ثم بدأ ينظر إليها بشغف.

وفتح أبو عوف حقيبته وأصبح مسرورًا، حينما رأى الحقيبة مليئة بالعملات الأجنبية.

وفـي هـذه الأثنـاء وبينمـا ينهـون صفقتهـم وصـل إلـى مسـامعهم صـوت ينبعـث مـن ميكرفـون:

- سلما أنفسكما المكان كله محاصر، ولا سبيل للهروب.

ألتفتوا حولهم، وكانت المفاجئة بانتظارهم.

★★★

(١٤)
درع الحق

وصل درع الحق ورجاله إلى وسط البلد، ونزلوا في الشارع الخلفي للبنك المركزي، ثم دخلوا إلى بيت مهجور في نفس الشارع خلف البنك مباشرة لا يفصله عن البنك سوى النوافذ الموصدة.

تكلم درع الحق وهو يحملق في وجوههم قائلًا:

- أريد آلة صك النقود، لن نذهب قبل أخذها، ثم حذرهم بشدة:

لا أريد خطأ من أحد. لقد خرجنا إلى هذه العملية؛ لضرب اقتصادهم، وأخذ آلة صك النقود، وخرج أخي لبيع الآثار. بعد نجاح هاتين العمليتين سنصبحُ أغنياء، وسنملكُ ثروة طائلة نستطع بها أن نبني جيشًا كاملًا، ونؤسس دولة قوية لنا، وستكونون رجالها الأقوياء ذوي المناصب العليا، هيا يا رجال لا أريد تقصيرًا من أحد!

عندما سمعوا كلماته ارتسمت الابتسامة على شفتيهم، وهبوا بأرواح مليئة بالحماس نحو عمليتهم التي ستقلب موازين حياتهم، وستغير مسار حياتهم مائة وثمانون درجة.

تقدم كل واحد منهم إلى نافذة وكان للبيت أربعة نوافذ متقابلة مع نوافذ البنك، وبدأوا بفتح النوافذ وتسلقوا على مواسير الصرف الصحي، والتي كانت في مكان ضيق يفصل المبنيين عن بعضهما البعض، ويُسمى « منورًا « عند المصريين، ووصلوا إلى النوافذ الخلفية للبنك، وكانت زجاجية فقاموا بتحطيمه بآلة كانت معهم، ثم تسللوا إلى الداخل عبرها. فوجدوا أنهم بداخل حجرة المدير، ثم توقفوا قليلًا؛ ليبحثوا عن طرف خيط يقودهم إلى حجرة المحفوظات.

لمحوا لوحة على الحائط خارج الغرفة مرسوم عليها الهيكل التنظيمي للبنك، وبعد تدقيق طويل عَلموا أن البنك يحتوى على ثلاثين حجرة، وحجرة المحفوظات هي الغرفة رقم (٤) بجوار سلالم الدور الثالث في أقصى يمين البنك بجوار الخزينة المركزية، والتي يفصلها ممرين عن حجرة المدير.

عبروا بسرعة من الممر الأول، والشوق يدفعهم لتلك الآلة، وعندما وصلوا إلى الممر الثاني كانت الصدمة.

★★★

(١٥)
إصابة عُمر

رأى «أبـو عـوف» عُمـرا، وفريقـه يطوقـون المـكان مـن حولهـم، وتقدمـوا نحوهـم رويـدًا رويـدًا، فتكلـم أبـو عُمـر صارخًـا:

- لا تقتربوا أكثر وإلاَّ أفجر المكان.

وعندمـا اقتربـوا منـه دفـع بجـون إليهم، وأطلـق رصاصـة نحـو عُمـر فحـاول أن يتفاداهـا، ولكـن أصابـت كتفـه، ثـم قفـز إلـى الميـاه وغـاص إلـى الأسـفل حتـى يتفـادى الرصاصـات التـي انهالـت عليـه عندمـا أُصيـب عُمـر.

سقط عُمر على الأرض، وارتطمت رأسه بحجر أفقده وعيه.

صاح أحمد بكل ما أوتي من قوة:

- قائدي! قائدي!

أسـرعا خالـد وإسـلام إلـى عُمـر، وأمـرا خالـد، ومصطفـي، وعبـد الرحمـن بالقبـض علـى جـون، وأخـذ الحقيبتيـن فقامـوا بمهمتهـم علـى أكمـل وجـه، وجـاءت سـيارة الإسـعاف مسـرعة، وأخـذت عُمـرا إلـى مستشـفى الشـفاء.

ثم أقترب من سارة وأمسك بيدها ثم قال:

- وأنا الآن ها هنا في المستشفى منذ شهر.

أمسكت سارة بيديه، ونظرت في عينيه ثم قالت بحنان:

- لقد أنقضت كل تلك الأحداث المؤلمة، وسيكون القادم أفضل بإذن الله.

ثم نظرت إليه بشغف متسائلة:

- وماذا حدث لدرع الحق؟

أجابها عُمر:

- سأخبرك يا حبيبتي! عندما عبر درع الحق الممر الأول متلهفًا إلى آلة النقود، ولما وصلوا إلى الممر الثاني صُدموا حينما رأوا رجال الشرطة بانتظارهم، والتفوا حولهم من كل حدب وصوب، حتى أوقعوهم في الكمين، وقبضوا عليهم جميعًا دون أدنى مقاومة، ودون أية إصابات لكلا الطرفين.

قال درع الحق بارتعاد:

- كيف عرفتم أننا سنداهم البنك المركزي؟

أجابه أحد رجال الشرطة:

- لقد وضع رجال الاستخبارات عميلًا لهم بداخلكم، واستطاع تسريب كل خططكم إلينا، وتفاصيل العملتين اللتين كنتم تخططون لهما، وربما الإرهابي «أبو عوف» الآن بيد رجال القوات الخاصة.

قال درع الحق:

- هل كان «شاهد البتار» عميلكم الذي تسلل بيننا؟

أجابه:

- نعم، ولكن اسمه الحقيقي «جلال الدين»، ولكن أخبرني كيف عرفت أنه الخائن؟

أجاب درع الحق:

- لقد شككت به كثيرًا، وازدادت شكوكي حوله في ليلة أمس حينما اجتمعت مع أخي «أبو عوف» بمفردنا بعدما أغلقنا الباب علينا، وتكلمنا حول تفاصيل عملية في غاية السرية، وأحسست بأن أحدهم يتنصت علينا فخرجت خارج الحجرة وتظاهرت بجلب بعض أغراضي، ولمحت « شاهد البتار» يهرول خارجًا من المعسكر، فأسرعت خلفه ورأيته قابل أحد الأشخاص، وأخبره ببعض الأشياء التي لم أسمعها لضعف الصوت بسبب المسافة البعيدة بيني وبينه، ثم انتهى من حديثه بعد نصف ساعة تقريبًا، وغادر إلى المعسكر وهو ينظر خلفه ليؤكد بأن أحد لم يلاحقه ثم دلف إلى حجرته، ورقد على سريره.

ذهبتُ إلى أخي أبو عوف؛ لأخبره بما رأيت، ولكن وجدته مستلقيًا على سريره، وتاه في أحلامه الطويلة، فحاولت إيقاظه من غفلته، ولكنه صرخ في وجهي قائلًا:

- أغرب عن وجهي الآن، دعني أكمل نومي ينظرنا يومًا صعبًا غدًا.

تركت حجرته، وذهبت إلى حجرتي ثم غصت في نوم عميق،

ولم تسنح لي الفرصة بإخباره ما رأيت، وكان صباح اليوم التالي هو موعد تنفيذ العمليتين، فخرجنا بسرعة إلى الطريق، ولم يكن لدينا وقتًا للحديث؛ لضيق الوقت، واختلاف وجهتنا المقصودة.

ثم سكت قليلًا، ثم تابع حديثه قائلًا:

- لو كانت شكوكي قوية قبل هذا اليوم لعملت احتياطاتي، وما وقعت في كمينكم.

قال له الشرطي:

- لا تقلق، سأجعله يهتم بك في السجن.

عندما سمع درع الحق كلامه نكص على عقبيه، ونزل على ركبتيه، ومد يديه طالبًا العفو، وهو يقول:

- «أنا برئ، لم أقتل أحدًا»

ثم سلموه بعدها لرجال الاستخبارات.

ثم قالت سارة متسائلة:

- وماذا عن « أبي عوف «؟

هل استطاعوا القبض عليه أم فر هاربًا؟

أجابها عُمر:

- حينما سقطت على الأرض فقدت الوعي، وعرفت لاحقًا من فريقي عندما أتوا إلى زيارتي بالأمس في المستشفى وأخبروني بهروبه بعدما قفز إلى البحر، وسبح ناحية سفينة كانت على

وشك الإبحار، وتشبث بحبل مربوط بها حتى أعتلاها، بعدما خرجت خارج حدودنا الملاحية، ولاحقتهم قواتنا البحرية، ولكن لم تدركهم.

ثم سكت عُمر لهنيهة ثم قال:

- أيام وسأخرج من المستشفى، وبعدها سأعود إلى فريقي، وهذه المرة لن يفلت منى ذلك الإرهابي الحقير.

قالت سارة:

- إن شاء الله يا عُمر!

استأذنت سارة من عُمر، وانصرفت إلى الشقة بعدما ودعته.

خرج عُمر من المستشفى بعدما أستعاد عافيته ووعيه، وجاء إليه فريقه إلى المنزل

وقضوا معه يومًا سعيدًا.

حكوا له عن عملياتهم الأخيرة، والتي كانت صعبة نوعًا ما؛ بسبب عدم وجوده معهم، وقلقهم الدائم عليه.

وأخبروه بأن خالد تسلم قيادة الفريق في فترة مرضه، ومواقفه المضحكة مع أحمد الذي كان يتفنن في رسم البهجة على وجوههم، ليخرجهم من حالة الكآبة التي خيمت عليهم حتى يركزوا في مهامهم.

وفي مساء ذلك اليوم غادر الفريق، وجلس عُمر مع سارة لحظات العاشقين المشتاقين يبوح لها ما في قلبه من مكنونات حبه لها، وقال لها مُغازلًا:

رسمتُ لوحة لحبيب ذات عيون كعيون الغزال، فقالت لي اللوحة بدلال:

- لم أرى مثل هذا الجمال.

فقلت لها:

- وأين ستنظرين لحبيب ذات ملامح ورديه، وعيون فتانة عسلية، وشخصية كاملة آبية، كزهرة تجذب النحل لرحيق ريقها، وكشهد تثملُ الأكلين بعسلها؟

هذا حقيقة لا احتمال.

إنه عشق يُقذف إلى الأرواح، فسرعان ما يسكن بها، ولا يخرج إلا بخروجها

قبل البكاء والصياح.

وإن حيت فيؤرق ليلها الحزين حتى الصباح، ولا تندمل للقلوب جراح.

إنه الحب الذي يزداد بالوصال، ويهتدى إليه كل ضال بعد طول مشوار

وبكاء بالليل والنهار حتى يُذبح الانتظار، ويعيش كلاهما في دار.

ابتسمت سارة عندما سمعت كلماته، وكادت الدنيا أن تطير بها.

وبعد يومين من خروجه من المستشفى أستأذن من جده بالخروج مع سارة، ليتجولا قليلًا، فأذن لهما.

★★★

(١٦)
فرحة اللقاء

مشيا في شوارع وسط البلد، وكانا ينظرا إلى المحلات التجارية، والمولات الكبيرة، ثم دخلا إلى محل ملابس زفاف، وأُعجبا بفستان أبيض مطرز بالخرز الفضي اللامع، وطلب عُمر من سارة ارتداءه، ووافقت بعد إصرار وتوسل من عُمر.

ذهبت إلى غرفة «البروفة» وارتدت الفستان فأصبحت كالحوراء، ثم ذهبت إلى عُمر، وانبهر بجمالها عندما رآها تمشي نحوه بزهو، وابتسامتها تتلألأ في وجهها المنير كالقمر في تمامه.
فقال لها عُمر مُغازلًا:
- واوو!! هل تقبلينني زوجًا لكِ أيتها الفاتنة؟!
أجابت بحياءٍ:
- ومن أين أجد مثلك أيها الوسيم؟!
تعالت الضحكات، وارتسمت البسمات على وجوه الفتيات اللآتي كانت حاضرات هناك.
ثم خرجا من المحل بعدما ابتاع عُمر الفستان لها، ودفع حسابه، ثم قدمه لها هديةً للزواج، ثم تابعا سيرهما في الشوارع. شارع

تلو شارع حتى وصلا إلى كورنيش النيل قبيل غروب الشمس بلحظات، ونظرا إلى شعاع الشمس الخافت، وإلى المياه الجارية في النيل وقت الغروب.

أصبح الجو أكثر رومانسية بعدما أشترى عُمر لها وردًا جميلًا أحمر اللون – لونها المفضل -، وأخذت الورد منه تشمه، وتضمه إلى صدرها وهي ناظرة إلى مياه النيل، وتختلس النظر إلى عُمر من بين الحين إلى الآخر، ولما لاحظها عُمر ضحكت بحياء، وهي في نشوة سعادتها، وكلما سرق عُمر منها نظرة، ورأى ابتسامتها تعالت ضربات قلبه، وانتفضت كل جوارحه، وسرى الشوق في جسده سريانا، وازداد هيامًا وعشقًا، وصار وجهه فاضحًا ما يخفيه في أحشائه.

قالت سارة لعُمر:

- لقد دعوت ربي أن يرزقني زوجًا جميلًا ذو خُلقٍ رفيع، وعندما رأيتك أول مرة تمنيت أن تكون حبيبي، وشريك حياتي.

ضمها عُمر إلى صدره، وصارت أصابعه تتخلل خصلات شعرها الحرير، وقال بنظرة هيام، وهو ينظر في عينيها:

- وأنا ذوبت عشقًا حينما رأيتكِ أول مرة بين الأسرى، والشوق دغدغ مشاعري،

كم أنتِ ساحرة يا حبيبتي الجميلة؟!

ثم تابع حديثه بكلمات العشق والهيام لحبيبته التي جمعها به الزمان:

من قلبي سلام لمَن أحيا قلبًا بعد الحُطام، وعلّمه معنى العشق والغرام.

أشعلَ فكرًا، وألهبَ نفسًا، وأغدق حُبًا من بعد سنين الحرمان، وخاض معي الطريق دون استسلام.

دمعت العيون لبكائه، وفرحت لثنائه، وهامت عشقًا لكلامه.

فكلامه معسول، وحيائه رسول يهمس ولا يقول ما في قلبه.

كادت سارة أن تطير فرحًا بعدما سمعت تلك الكلمات، ثم مشيا قليلًا، وعُمر ممسكًا بيدها حتى وصلا إلى حديقة الحيوان، وتوقفا أمام بابها، وقبل أن يدخلا توقف عُمر، وضغط على يديها ثم قال لها:

- لقد تأخر الوقت، هيا يا حبيبتي نعود إلى البيت؛ حتى لا يقلق جدي علينا.

فذهبا إلى البيت، وكان جدهما بانتظارهما، ثم جلسوا على مائدة الطعام، وتناولوا العشاء معًا.

وقال عُمر لجده، وهو يبتسم:

- أريد أن تزف الفرحة إلى بيتنا يا جدي العزيز!

قاطعه جده، وتعالت ضحكاته قائلًا:

- أتريد إقامة العرس يا حفيدي؟

قال عُمر، وهو يبادل سارة ابتسامة خلابة:

- نعم، يا جدي!

سأله جده متحمسًا:

- متى يا عُمر؟!

أجابه عُمر:

- الأسبوع القادم يا جدي! فخير البر عاجله، وأخاف الموت دون الاجتماع بمحبوبتي سارة، وأنت تعلم مدى صعوبة العمليات التي نقوم بها.

سيأتي يومًا نذهب فيه ولا نعود مرة أخرى.

قاطعه جده قائلًا:

- أطال الله بعُمرك يا حبيبي!

قال له عُمر:

- معذرة يا جدي على الأحزان التي سببتها لك! أريد أن أسعدك.

قال له جده:

- حسنا يا صغيري! سأقيم لكما عُرسًا يُبهر الجميع، وتتحاكى به الألسنة، وتميل إليه أفئدة العاشقين.

بعد أسبوع كامل تم الانتهاء من توفير احتياجات العرس، وتمت دعوة كل المعارف، والأصحاب، والفريق، والقادة إلى حفل

الزفـاف.
فـرح الجميـع بهـذا النبـأ السـار بعدمـا تملكهـم الحـزن فـي الأيـام الأخيـرة.
وجـاء اليـوم السـعيد وكثـرت الأصـوات والضجيـج بعدمـا أتيـا عُمـر وسـارة إلـى الحفل بملابـس الزفـاف، حيـث طغـى بريـق جمـال سـارة علـى كل الحاضـرات، وأصبـح عُمـر أكثـر وسـامة ببدلـة الزفـاف، وتحقـق ذلـك الحلـم الـوردي الـذي لطالمـا حلمـا بـه.

تعالـت أصـوات الأغانـي، ورقـص القاصـي والدانـي، وتمنـوا مثـل هـذه الأمانـي أن يجتمـع كل حبيبـانِ.
وكلمـا نظـر عُمـر إلـى أصدقائـه وهـم يرقصـون يـكاد أن يسـقط ضحكًا؛ بسـبب حركاتهـم البهلوانيـة وهم يتمايلـون على النغـم والألحان.

انتهـى الحفـل، ومـرت ليلـة سـعيدة، وغـادر الحاضـرون بعدمـا سـلموا علـى عُمـر وسـارة، وتمنـوا لهمـا زواجًـا سـعيدًا.
عـاش عُمـر مـع سـارة أيامًـا سـعيدة لا يشـوبها شـيء مـن الحـزن والكـدر، وكلمـا انقضـى يومًـا ازداد حبهمـا أكثـر فأكثـر، حتـى جـاء ذلـك اليـوم المشـئوم ونغـص علـى سـارة معيشـتها، وكـدر صفـو حياتهـا.

★★★

(١٧)
الأماني الكاذبة

مرت ثلاثة أشهر على زواج عُمر وسارة، وجاءت الأخبار إلى الاستخبارات بأن أبا عوف يخطط لهجوم شامل على سيناء، والمحافظات الأخرى في آن واحد، وشَكلَ جيشًا جرارًا، وسلحه بأحدث الأسلحة الفتاكة من التمويلات الخارجية للمنظمة الإرهابية، ثم جمع جيشه وألقى عليهم خطبة رنانة قائلًا:

- أيها الجيش الذي لا يُقهر! غدًا سنبدأ صفحة جديدة لحلمنا الذي رسمناه بالدماء، ومن أجله مات أخي سيف العدل، وحُبس أخي درع الحق، وقُتل منا آلاف الرجال.. المعركة التي سنخوضها ليست سهلة. إننا سنحارب جيشًا لا يُهزم بسهولة؛ بسبب تدريبه العالي، وإيمانه الراسخ، ومعتقداته التي لا يتردد لثانية واحدة الموت في سبيلها.

أريد أن تعلموا أن قضيتنا التي دافعنا عنها، وما زالنا ندافع عنها حتى آخر نفس من أنفاسنا قضية دولة، ووطن يجمعنا بعد الشتات.

ثم ختم خطبته متسائلًا:

- مَن يريد المشي معي في هذا الطريق؟

أجابوا جميعًا في صوت رجل واحد:

- أنا أريد، وأنا أريد، كلنا نريد.

فتهللت أساريره، وأمر مساعده بتوزيع الأموال التي كانت معه في الحقائب السوداء التي كانت موجودة على الطاولة في منصة الاجتماع.

***

أرسلت المخابرات هذه المعلومات إلى قيادات القوات الخاصة، وأمرتهم بالتحرك في أسرع وقت.

وصلت المعلومات إلى اللواء حجازي الروبي، وقام بعقد اجتماعًا عاجلًا؛ لبحث ومناقشة التطورات الجديدة.

حضر الجميع إلى الاجتماع، وقال اللواء حجازي:

- أيها الأبطال الشجعان، المدافعين عن الأرض والإنسان، والهازمين لكل عدو شجاع أو جبان! وصلت إلينا معلومات خطيرة لمؤامرة شريرة، وتكتيك شيطاني من أبي عوف.

إنه سيشن علينا حربًا شاملة بعدما خدع جماعته بالأماني الكاذبة، وسيحارب في كل مكان من وطننا، فقررنا مداهمته في وكره قبل التسلل إلى أراضينا، وإثارة الفوضى والدمار.

إن ذلك العدو الغاشم لا يرحم صغيرًا ولا كبيرًا.

جاء يوم حصاد الأرواح وتخليص البشرية من الآلام والجراح، استعدوا ستهاجمونهم الليلة في بؤرتهم الإرهابية في رفح يا أبطال!

قال عُمر:

- قائدي هذه العملية تحتاج إلى دعم كبير؛ لأن المنطقة التي سنحارب فيها منطقة حدودية مزروعة بالألغام والمتفجرات الحساسة، بالإضافة إلى الأنفاق الكبيرة الموجودة بالمنطقة، والتي من المحتمل أن يهاجمونا منها.

قال اللواء حجازي:

- لا تقلق يا عُمر! سنرسل معكم كل الدعم اللازم، وإذا احتجتم دعمًا فسنرسل لكم المزيد، ولن نتأخر عنكم أبدًا.

قال عُمر:

- تمام يا قائدي!

تحرك الفريق إلى رفح ومعهم جيش كبير، والدبابات الحربية من خلفهم، ومن خلفها فرقة من المُشاة، والجيش في ذروة استعداده لهذه المعركة الحاسمة، والتي ستكون المعركة الفاصلة للحروب التي استمرت دهورًا، واندمالًا للجراح التي ما زالت تنزف.

زحف الجيش إلى رفح حيث الرمال التي تنتشر في كل مكان، والمنحدرات الكثيرة والتي يفصل بعضها عن بعض مسافات صغيرة، والبيوت المنتشرة في كل مكان، والتي تبعد عن الحدود كيلو مترات، وأحكم قبضته على الحدود؛ حتى لا يستطيع أحدهم الهرب، أو التسلل منها إلى أراضينا، وكانت الأسلاك الشائكة

تحيط بها بجوار وفوق الجدار العازل.
ثم قسم عُمر الفريق إلى ثلاثة مجموعات، وكل مجموعة تترأس وتقود مجموعة من الجنود:
يوسف وخالد سيقودان الميمنة، وعبد الرحمن ومصطفي سيقودان الميسرة، وفي القلب عُمر، ومعه أحمد، وإسلام، ومعهم نخبة من الجنود.

تقدما خالد، ويوسف، ومجموعتهما والتفوا حول ميمنة معسكر العدو، وحاصرا عبد الرحمن، ومصطفي، ومجموعتهما ميسرة العدو، وانطلق عُمر، وأحمد، وإسلام، ومجموعتهم إلى قلب المعسكر.
وأحس العدو بخطر داهم يتربص بهم الدوائر، فأسرعوا بجمع العدة والعتاد، وتنظيم الصفوف.

تأهب الفريقان، وأحتشد الجمعان، ودقت ساعة الحرب، وحُمى الوطيس بعدما أعطى عُمر أمرًا بالهجوم على معسكر العدو، ومحاصرته، وكتم أنفاسه.
زحف الجيش إلى معسكر العدو يخترق صفوفهم، ويحصدهم جميعًا بعدما تشتت صفوفهم من هول المفاجأة، وصرخ أبو عوف في رجاله قائلًا:

- قاتلوا أيها الرجال! اليوم يوم الملحمة، اليوم يوم الانتقام لمقتل قائدكم سيف العدل.

وكان القتال من ثلاث جهات، وكانت أشدهم قتالًا وفتكًا بالعدو جبهة عُمر بعدما رسم خطة أطاحت بمعظم رجال أبو عوف، وفَرقت جمعهم.

واخترق خالد صفوف الميمنة وقاتل قتال الأبطال، ويدعمه يوسف بقوة، حتى سيطروا على ميمنة المعسكر.

وبينما الفريق يتقدم ويدمرهم تدميرًا، ويتوغل ويخترق صفوف العدو كانت المفاجأة، والتي قلبت موازين الحرب لصالح أبو عوف.

★★★

(١٨)
كمين الأسر

كانا عبد الرحمن ومصطفي يتقدمان بسرعة البرق في ميسرة العدو، ولفت انتباههم ميسرة العدو والتي كانت شبه خالية من رجال أبو عوف.

توقفا قليلًا؛ لينظرا ما في الأمر المخيف، وبينما هم على حالهم هذا إذ هاجمتهم مجموعة إرهابية كبيرة من الخلف بعدما تسللوا إليهم من الأنفاق الموجودة في المعسكر وقتلوا الكثير من الجنود، وقاتلا مصطفي، وعبد الرحمن قتال الأبطال حتى نفدت ذخيرتهم، وحاصرهما العدو، فوقعا في براثن الأسر.

انقطع التواصل بين مجموعة القلب، ومجموعة الميسرة لفترة طويلة، فقلق عُمر وساءه ذلك، وأرسل عُمر إليهم إشارة كانوا قد اتفقوا عليها مسبقًا في حالة وجود شيء يدعو للقلق، أوفي حالة انقطاع الأخبار عن إحدى المجموعات، ولكن لم يتلقوها، ولم يصل إليهم ردًا، فازداد القلق على الوجوه، وتزايدت الشكوك بأن مكروهًا قد حدث لمصطفي وعبد الرحمن، وعزموا على التحرك إليهم.

تحرك عُمر، وأحمد، وإسلام، وجنودهم بحذر شديد نحو الميسرة؛ ليتفقدوا الأخبار، وحينما وصلوا إلى هناك ذعروا مما رأوا.

كان هناك جنود قتلى في كل مكان، وأسلحة محطمة متراميـة في الأطراف، وبقع من الدماء مبعثرة بالقرب من الجثث، ففتشوا بين الجنود القتلى، وقلبوا المكان على عبد الرحمن ومصطفي، ولكن كانا مفقودين، ووجدوا جهاز اللاسلكي الخاص بمصطفي على الأرض.

حزنوا حزنًا شديدًا، وتيقنوا بأن عبد الرحمن ومصطفي في خطر حادق، وقطع شرودهم استغاثة قادمة من خالد عبر جهاز اللاسلكي، وقبل قطع المكالمة سمع عُمر صياح خالد صارخًا:

- يوسف! يوسف!

وأصوات رصاصات كثيفة، وانفجارات قوية انقطع بسببها الصوت.

صاح عُمر بكل ما أوتي من قوة:

- خالد! خالد! ماذا يحدث؟

أجبني يا خالد، أين يوسف؟!

ولكن لا أحد يجيب.

توقف عُمر للحظة مرتبكًا، وهو في حيرة من أمره بسبب الأحداث الأخيرة: ما حدث لفريق عبد الرحمن، ومصطفي

واختفاءهما الغامض، وصوت الانفجارات التي حدثت بالقرب من خالد، واستشار فريقه فأجمعوا على الذهاب إلى خالد؛ ليروا ما حدث هناك.

***

أخذ الإرهابيون عبد الرحمن، ومصطفي إلى سجن لهم في باطن الأرض بعدما عبروا عبر نفق كان على مقربة من ميسرة المعسكر، وكانا معصوبي العينين بعدما أسروهم، ولما وصلوا إلى مكان النفق نزعوا عن أعينهم الغطاء.

وصلوا إلى النفق، ورفع أحدهم غطاءً فولاذيًا رقيقًا بعدما أزاحوا التراب من عليه فظهر لهم نفق، ثم نزل على سلالمه الحديدية، ومن خلفه عبد الرحمن، ومصطفي وثلاثة من الإرهابيين يدفعانهما إلى السلالم وهما يحاولان التحرر من أيديهم حتى نزلا إلى الأسفل رغمًا عنهما.

ثم مشوا في نفق ضيق في باطن الأرض عبارة عن ألواح خرسانية في كلتا الجانبين متراصة بجانب بعضها البعض، ومسطح أيضًا بألواح خرسانية من الأعلى، ووصلوا إلى باب حديدي ففتحوه، ونزلوا إلى الأسفل بواسطة سلالم حجرية، ووجدوا غرفة مجهزة باستراحة للإرهابيين، ومجموعة من الإرهابيين يجلسون بها، وأخرى نائمون، ومجموعة ثالثة يتناولون أطعمتهم المُعلبة والتي

كانت عبارة عن علب تونة، وعلب فول مدمس، علب ماكريل. كما يوجد بالغرفة حمام أفرنجي، وبه سخان مياه كهربائي، وبانيو للاستحمام، وصنبورًا لمياه الشرب، كما أن النفق مزود بالمصابيح الكهربائية المضيئة.

ثم دخلوا إلى ممر سري، وانحنوا يمينًا، فوجدوا تفريعة جديدة للنفق، ووجدوا بوابة أخرى؛ لحماية العناصر الإرهابية، ووجدوا بداخلها غرفة مجهزة بأحدث أجهزة الاتصالات؛ للتواصل الخارجي مع العناصر الأخرى، ويطلق عليها غرفة العمليات، ووجدوا بجوارها غرفة كبيرة مزودة بأحدث الأسلحة، ويتم تدريب العناصر الجديدة للمنظمة بها، وتسمى غرفة التدريب. وأخيرًا وجدوا غرف كثيرة في ممر واسع للسجناء والأسرى، والقليل منها شاغر من الأسرى.

أدخلوا مصطفي، وعبد الرحمن إلى غرفة شاغرة بها نافذة وحيدة من الحديد المتباعد عن بعضه البعض، وبابها حديدي لا تكاد ترى الممر منه إلا من خلال فتحة صغيرة في منتصفه، ثم قيدوا جميع أطرافهما بالسلاسل المثبتة بالحائط الخرساني، ثم انصرفوا بعدما تركوهم في صراع مع أفكارهم المتراطمة.

★★★

(١٩)
شهامة أهل رفح

أسرع عُمر ومجموعته إلى خالد بعد صوت الانفجار وقطع الاتصال، ولما وصلوا إلى هناك لم يجدوا غير الأشلاء المبعثرة في كل مكان، وبحثوا في كل مكان عن خالد ويوسف، ولم يعثروا عليهما، فوقفوا مذهولين من سوء المشهد وكآبة المنظر، وقطع ذهولهم أصوات إطلاق الرصاص والتي كانت خافتة مع وصولهم، وزادت تدريجيًا بمرور الوقت.

أسرعوا في اتجاه الصوت، وكان بالقرب من معبر رفح على مقربة من السياج الشائك، والذي يفصل رفحين عن بعضهما. ولما اقتربوا من مصدر الصوت رأوا اشتباكًا عنيفًا للمجموعة الإرهابية التي قتلت الجنود مع خالد والجنود الناجين من الكمين الذي نُصب لهم، ثم أتت مجموعة من بدو رفح سيناء، ومعهم مجموعة من بدو رفح غزة؛ تدعيمًا لخالد وجنوده، وشنوا هجومًا قاسيًا على الإرهابيين فقتلوهم جميعًا.
وبعدما انتهى القتال أسرعوا إلى خالد بعدما رأوه يبكى بحرقة وألم، وفي تلك الأثناء جاء إليهم عُمر وفريقه ورأوا خالد يبكى بكاءًا شديدًا ويحاول البدو تهدئته.

أقبل إليهم عُمر وشكرهم على حسن صنيعهم، ومؤازرتهم للجيش المصري قلبًا وقالبًا، ثم حضن خالد بعدما ارتمى في حضنه باكيًا، وسأله بعدما التف حوله كل الفريق:

- لماذا تبكى يا خالد؟

وأين ذهب يوسف؟

عندما سأله عن يوسف زاد نحيبه، وكادت أن تنقطع أنفاسه فحاولوا تهدئته، ثم قال بصوت حزين بعدما تمالك نفسه ونهض، والتقط سلاحه، وأفرغه في أحد الإرهابيين الذين لقوا مصرعهم على أيدي أهالي رفح:

- استشهد يوسف يا قائدي!

بعد تلك الكلمات القليلة خيَّم على المكان حالة من الهلع والحزن، ودخلوا في نوبة هيستيرية من البكاء، لا يصدقون ما سمعوا من خالد.

ثم سأل عُمر خالدًا:

- كيف حدث ذلك؟

أجابه خالد:

- أثناء مكالمتي معك كان المكان هادئًا، ولا يدعو للريبة بعدما طهرناه من البؤر الإرهابية، وفجأة ظهرت أمامنا مجموعة من الإرهابيين، لا ندري من أين جاءت؟ ثم حاصرونا بوابل من

الرصاص أُمطر علينا، وبطريقة ما حاول يوسف التخلص منهم، وفر يوسف هاربًا من رصاصتهم محاولًا إيجاد طريقة للتخلص من حصارهم، فأوقعوه في فخهم، وارتطمت قدمه بلغمٍ كان مزروعًا في المنطقة، فانفجر فيه وتطايرت أشلاءه، ثم أخذوني أسيرًا بعدما قتلوا معظم جنودي، وحاولت التحرر منهم في الطريق حينما رأيت مجموعة من البدو تتجه نحونا، ولولا شهامة هؤلاء البدو لأصبحت أسيرًا عندهم.

لما سمعوا البدو قصته قالوا:

- إنهم يهاجمونكم عن طريق الأنفاق الموجودة في كل مكان بالمنطقة بعد نصب فخ لكم.

قال إسلام موجهًا حديثه للبدو:

- وما قصة هذه الأنفاق الملعونة التي أوقعتنا في أفخاخهم المتتالية؟

أجاب أحدهم:

- لقد كانتا رفحين رفحًا واحدًا قبل بناء الجدار العازل بينهما، ونسج سياجًا من الأسلاك الشائكة بطول الحدود معها، وقامت السلطات المصرية بفصل رفحين عن بعضهما بعدما تسللت عناصر إرهابية إلى غزة ثم إلى سيناء، لم يكن الهدف من رسم الحدود محاصرة إخواننا في غزة ورفح الفلسطينية ولكن؛ لحماية الحدود المصرية من خطر الإرهاب.

وبعدما ضاق الوضع على الإرهابيين قاموا بشق الأنفاق تحت

الأرض، والتي من خلالها يحصلون على كل الدعم لهم سواءً: من الطعام، والرجال، والأسلحة.

لقد أتعبونا أولئك الأوغاد بكمائنهم في سيناء، وفي غزة بعدما يتسللون من أنفاقهم.

ثم أنهى كلامه قائلًا:

- إنهم يريدوا إخضاع سيناء، والأراضي المتبقية من فلسطين المُحتلة إلى سيطرتهم.

فقال أحمد:

- لا تقلقوا يا أخوة العرب! ستعود الأراضي العربية كلها إلى شعبها كسابق عهدها بعد اتحادنا ومؤازرة شعوبنا العربية لبعضهم البعض.

حتما سيأتي ذلك اليوم وسنسترجع كل شبر فقدناه من أراضينا.

وقال لهم عُمر:

- لقد قتلوا يوسف، ولا نعلم شيئًا عن عبد الرحمن ومصطفي بعدما قتلوا كل جنودهما.

فقال له أحدهم:

- ربما أخذوهم أسيرين إلى الأنفاق، لا تحزنوا على فقدانهما سنعثر عليهما إن شاء الله، فلو كانوا يريدون قتلهما لرأيتم الجثتين بجوار الجنود القتلى، ربما يريدون منكم شيئًا في مقابلهما.

فكر عُمر قليلًا ثم قال:

- ربما يريدون عمل مقايضة معنا.

★★★

(٢٠)
محاولة الهروب

ظلت الأفكار تطاردهما، ودارت في مخيلتهما الكثير من الأسئلة التي لم يجدوا لها جوابًا شافيًا:

- لماذا أتوا بنا إلى هنا، ولم يقتلونا مع باقي الجنود؟

وماذا حدث لباقي الفريق؟

تُرى هل ينقذوننا من هذا الأسر المُشين؟

وكيف سيصلون إلينا تحت الأرض بعدما فقدنا جهاز اللاسلكي؟

وقطع شرودهما صوت فتح باب السجن الذي كانا بداخله، وترقبا ماذا سيحدث لهما؟.

دخل عليهما رجلٌ من حُراس السجن ويحمل بيديه طعامًا لهما. تقدم نحوهما وألقى بيديه الطعام تحت أرجلهما، فقال له عبد الرحمن غاضبًا:

- كيف سنأكل وكلتا يدينا مُقيدتين؟

فتقدم إليهما الرجل دون أي إجابة، وحرر أيديهما اليمنى فقط، فجذبه مصطفي من رقبته، وضغط عليها بيده بقوة، ونزع عبد الرحمن مفتاح السلاسل من ملابسه، وعلى الفور دون أن يلاحظ

الحـراس مـا يـدور بالداخـل فـك قيودهمـا، وضربـا الرجـل علـى رأسـه، وتـركاه وهربـا خارجًـا.

أسرعا فـي الممـر الواسـع وعندمـا وصـلا إلـى نهايتـه وجـدا أبـا عوف ورجالـه بانتظارهما

شاهرين أسلحتهم نحوهما.

حـاولا التقهقـر إلـى الخلـف، والبحـث عـن سـبيل آخـر للهـروب، ولكـن قـد أتـت مجموعـة مـن حُـراس السـجن خلفهمـا بعدمـا علمـوا بهروبهمـا.

فقال لهما أبو عوف مستهزئًا:

- هل قصر الرجال في ضيافتكما؟

إلى أين ستهربين مني؟

ثم صمت لحظة، ثم أجاب بنفسه قائلًا:

إلى القائد عُمر، أم إلى يوسف الذي أصبح رمادًا؟

فسأله عبدالرحمن صارخًا:

- ماذا حدث ليوسف أيها الخائن العميل؟!

أنت تخدعنا كما خدعت شعبك، وتعاونت مع عدوك.

فرد عليه أبو عوف غاضبًا:

- لسـت خائنًـا أيهـا الأحمـق! ولكـن عَلمـتُ مـن أيـن تُـأكلُ الكتـف،

فهـذه الحيـاة قائمـة علـى المصالـح، والمـال هـو القـوة الطاغيـة فـي هـذا العالـم.

فقاطعه مصطفي قائلًا:

- المال! وأين المروءة والشرف أيها القاتل؟!

فأجابه أبو عوف قائلًا:

- وأيـن كانـت المـروءة والشـرف حينمـا مـرت علينـا ليـالٍ كثيـرة دون طعـام ولا مـأوى؟

★★★

(٢١)
عقد الاتفاق

ظلوا على حالهم من النقاش والجدال مدة ليست بالقليلة، حتى تكلم أبو عوف مع عُمر ليتيقنا صدق حديثه عن موت يوسف.

هَاتفَ أبو عوف عُمرا وقال له شامتًا:

- كيف حالك أيها القائد المُظفر؟

أجابه عُمر بغضب:

- أيها الجبان الماكر أخرج إلينا إن كنت شجاعًا!

قال له أبو عوف:

- كفي صراخًا، هل نسيت ما فعلته بيوسف؟

رد عليه عُمر:

- لا تقلق، سأحطم رأسك قريبًا وإن كنت في سابع أرض.

فقال له أبو عوف:

- كيف؟ وأنا معى ورقة رابحة بيدى الآن.

صرخ عُمر قائلًا:

- ماذا تقصد أيها المُراوغ؟!

قال:

- أريد أن أعقد معك إتفاقًا؟

قال عُمر مستغربًا:

- ماذا؟! عن أي اتفاق تتحدث؟

أجاب أبو عوف:

- أريد درع الحق مقابل عبد الرحمن ومصطفي.

قال عُمر بنبرة ممزوحة بفرحة حياتهما، وحزن أسرهما:

- حقا؟ أريد أن أسمع صوتهما.

فأعطى أبو عوف هاتفه النقال إلى عبد الرحمن، ومصطفي، وتحدثا إلى عُمر وطلبا منه ألا يقايضه، فنزع أبو عوف الهاتف منهما، ثم قال:

- ماذا قلت في عَرضي؟

أجابه عُمر:

- تمام، سأتحدث مع القيادات العليا ثم سأحدد مكان وميعاد المقايضة.

قال أبو عوف:

- حسنا، سأنتظر مكالمتك.

قفل أبو عوف الخط مع عُمر ثم أمر رجاله بوضع عبد الرحمن ومصطفي في السجن، وألا يبعدوا أعينهم عنهما حتى لا يتعرضوا لغضبه لو حاولا الهرب مرة أخري.

أنهى عُمر مكالمته مع أبو عوف، وتكلم إلى اللواء حجازي، وأخبره بكل التفاصيل فأخبره اللواء حجازي أنه سيفعل اللازم.

وفي تلك الأثناء، وبينما البدو يتحدثون مع الجنود، وعُمر يتحدث مع اللواء حجازي، لاحظ خالد أحد الإرهابيين يهرول مسرعًا دون أن يراهم، ومختبئًا خلف الصخور فتتبعه خالد بعدما ألح على فريقه بالمكوث مكانهم؛ حتى يأتي إليهم بالأخبار.

أسرع أحمد خلفه دون أن يلفت انتباهه، ورآه يتسلل إلى نفق بالقرب من صخرة كانت محددة بعلامات ظاهرة، أختبأ خالد خلف صخرة يراقب المكان من بعيد، حتى رأى أبو عوف يخرج منه وخلفه مجموعة من الرجال المسلحين.

★★★

(٢٢)
كشف المستور

رجع خالد إلى الفريق بعدما خَطَ علامات على الصخور التي على جانب الطريق المؤدى إلى النفق، وأخبر فريقه بما رأى. عندما سمع الفريق خبر النفق فرحوا فرحًا شديدًا، وتحركوا إليه؛ ليعاينوا المكان عن قرب؛ وليتفقدوا منطقة حربهم القادمة حتى لا يقعوا في كمائنهم مرة أخرى.

ذهب الفريق من طريق ذو اعوجاج يتوسط الصخور، وعلى أحد جانبيه صخورًا تحمل علامات لخالد قد خطها بيده، وبعد دقائق قليلة وصلوا بالقرب من النفق وتفقدوا المكان بحذافيره، وقال عُمر:

- لا بد من وجود مخرج آخر أو ربما عدة مداخل ومخارج لهذا النفق لحالات الطوارئ، إنهم لا يتركوا أمنهم للاحتمالات، هيا يا أبطال أبحثوا عن خبايا النفق، والذي من المحتمل أن يكونا مصطفي وعبد الرحمن محتجزين بداخله!

وزع عُمر فريقه على الأربع اتجاهات المؤدية للنفق بعد أن حدد

لهم طريقة للتواصل في حالة الخطر أو العثور على المداخل، وذهب عُمر في الاتجاه الغربي للنفق، وذهب أحمد في الاتجاه الشرقي، وذهب خالد في الاتجاه الشمالي، وذهب إسلام في الاتجاه الجنوبي.

تحركوا معًا في وقت واحد إلى طرق مختلفة بعدما أخرجوا بوصلاتهم؛ ليحددوا اتجاهاتهم.

نزل عُمر إلى مكان ملئ بصخور متوسطة الارتفاع وعلى مسافات متساوية التباعد عن بعضها، وتحيط بهم الكثبان الرملية من كل الجوانب وهو يمشى ببطء شديد باحثًا عن طرف خيط يهديه إلى مخرج آخر للنفق، ثم توقف فجأة وتسمر في مكانه بعدما رأى إشارات مثلثية الشكل مثبتة على قواعد من المواسير الحديدية الطويلة كإشارات المرور، ومكتوب عليها بخط كبير «خطر، ممنوع الاقتراب» اندهش عُمر حينما رآها في مكان معزول، وعلى الفور بحث بالقرب منها عن أى شيء يهديه إلى طريقه كبحث ظمأن عن ماء في صحراء جرداء.

بعد بحث دقيق وطويل لاحظ آثار أقدام حديثة لم تمحوها الرياح من فوق طبقات الرمال، فتوغل وسط الصخور متقفيا آثار الأقدام حتى قادته إلى مغارة جبلية كمغارة « على بابا «، وبعد دقائق

مـن المراقبـة، وبعـد خـروج مجموعـة مـن الرجـال منهـا اكتشـف أن المغـارة مـا هـي إلا مخـرج آخـر للنفـق.

★★★

(٢٣)
المقايضة والفخ

توغل أحمد شرقًا داخل الأدغال حيث النباتات الخضراء، والأشجار الضخمة، والحيوانات الكثيرة والمتنوعة، والطيور متعددة الأشكال والألوان التي تترنم بتغريدات تطرب الآذان لسماعها.

ومشى أحمد مسافة طويلة، وهو ينظر إلى ما حوله من الطبيعة الخلابة، والتي تقذف بالبهجة في عيون الناظرين، وتُلهب شوق المشتاقين آملًا إيجاد ضالته المنشودة، ولكن هيهات هيهات عما يبحث عنه في وسط المكان الخالٍ من البشر، والذي لا يوجد به علامات تدل على أن أحدهم أتى إلى هذا المكان قبل مجيئه.

أما خالد فتوجه شمالًا على امتداد مستنقع قد جف ماءه، وظهر قاعه الذي أصبح جافًا بعد الجفاف الذي حلّ بالمكان ووئدت الحياة فيه، ولم يظهر أمامه شيء في هذه المنطقة الخربة.

وانطلق إسلام جنوبًا حيث الصحراء الجرداء القاحلة الخالية من البشر ولا يوجد بها نبات غير الصبار ولا حياة تحت أشعة الشمس المُلتهبة.

بعدما اكتشف عُمر المخرج الآخر للنفق تواصل مع فريقه، وأخبرهم بما رأى حينما علم بفشل محاولاتهم الثلاثة في اكتشاف مخرج آخر، وأمرهم أن يأتوا إليه بعدما وصف لهم الطريق، ثم تواصل مع اللواء حجازي؛ ليخبره بالمستجدات، وليَعلمَ موعد ومكان المقايضة.

علم عُمر موعد ومكان المقايضة، وطلب من القائد حجازي دعمًا جويًا، لتدمير الأنفاق بعد خروج مصطفي وعبد الرحمن للمقايضة قصفًا بالطائرات الحربية،

فوعده خيرًا، وأمرهم بشن الهجوم في ظهيرة الغد بعد خروج مصطفي وعبد الرحمن من النفق للمقايضة، وألا يتحركوا إلا بتعليماته ثم ختم حديثه معه بعدما ألهب فكره في مفاجأة سارة غدا بانتظارهم.

***

بات الفريق ليلته عند بدو رفح بعدما استضافوهم استضافة خاصة إخفاء لأمرهم، وأغدقوا عليهم من طيب خيراتهم.

لم يكن لديهم وقتًا للحزن؛ نظرًا للأحداث الكثيرة التي مرت بهم في الفترة الأخيرة، وصبوا جل تركيزهم على الانتقام من الإرهابيين في هذه الحرب الفاصلة.

وفي ظهيرة اليوم التالي أرسل أبو عوف مساعده «ربيع الليل» ورجاله بمصطفي وعبد الرحمن إلى منطقة بين العريش ورفح للمقايضة.

وفـي الصبـاح الباكـر كان قـد انطلـق «عبـد الله منصـور» وصفـوة مـن الجنـود ومعهـم «درع الحـق» إلـى مـكان المقايضـة، وكان هدفهـم الأسـمى الوصـول إلـى مـكان المقايضـة قبـل الطـرف الآخـر؛ ليجهزوا لهـم مفاجـأة لـم يتوقعوهـا.

وقبـل وصـول عبـد الله إلـى مـكان اللقـاء كان قـد أتصـل عُمـر باللـواء حجـازي؛ ليعـرف تفاصيـل العمليتيـن، وأخبـره اللـواء حجـازي عـن المفاجـأة التـي يترقبهـا عُمـر منـذ أمـس وقـال لـه:

- لقد تحرك الفريق إلى نقطة التبادل ويقودهم «عبد الله منصور»

قال عُمر متسائلًا:

- أخو الشهيد ياسر؟

أجابه اللواء حجازي:

- نعـم، لقـد تخـرج حديثًـا، وانضـم إلـى القـوات الخاصـة بنـاء علـى وصيـة أخيـه ورغبتـه فـي الانتقـام مـن قتلـة أخيـه، إنـه لـن يسـلم «درع الحـق»، وسـيتظاهر بإعطائـه لهـم، ثـم سـتحدث الملحمـة بعـد اسـتلام عبـد الرحمـن ومصطفـي.

فـرح عُمـر كثيـرًا لانضمـام عبـد الله إليهـم، وحـزن فـي نفـس الوقـت لعـدم حضورهـم حفـل تخرجـه؛ ولكـن يعلـم حقًـا أن نـداء الوطـن أهـم مـن أي شـيء، وأخبـر فريقـه عـن خبـر عبـد الله، وفرحـوا أيضـا فرحًـا شـديدًا، وتمنـوا لـو كانـت عمليتهـم مشـتركة.

***

وصل عبد الله باكرًا إلى مكان التبادل وقام بنشر فريقه في المنطقة، وأبقى على جزء قليل من فريقه معه بعدما نصبوا فخًا للقادمين.

وبعد وصوله بنصف ساعة وصل « ربيع الليل « ورجاله ومعهم عبد الرحمن ومصطفي، ثم تكلم سائلًا:

- أين درع الحق؟

أجابه عبد الله:

- إنه معنا، وأشار إلى أحد الجنود أن يأتا به بعد أن طلب منهم إحضار عبد الرحمن ومصطفي.

تم التبادل بين الفريقين، وأقبلا عبد الرحمن ومصطفي إلى عبد الله وسألاه:

- مَن أنت أيها الشجاع؟

أجابهما:

- أنا الملازم عبد الله منصور يا قائداي!

نظرا إليه نظرة اندهاش متسائلين:

- أخو ياسر؟

قال:

- نعم، أنا أخو الشهيد ياسر.

فارتميا في حضنه، وطال العناق حتى طلب عبد الله من عبد الرحمن ومصطفي أن يأخذا سلاحين من أحد الجنود الذي كان خلفهم.

ثم صاح عبد الله بصوت عالٍ:

- الوطن يا أبطال! وكانت هذه الكلمات هي كلمة السر.

فهجم الفريق على « ربيع الليل ورجاله»، ودارت معركة طاحنة بين الفريقين وكانت الغلبة للجنود الأبطال، وانسجما عبد الرحمن ومصطفي في القتال، وكأنهم عائدين من ساحة التدريب.

أحاط الفريق كل المكان، ومنع هروب أيَّ منهم، حتى لو أضطر الأمر لقتلهم جميعًا.

تساقط الكثير من القتلى في صفوف الإرهابيين، ووهنت جبهتم القتالية، ودب الرعب إلى نفوسهم، وحاول درع الحق الهروب من مأذقه، ولكن لا يوجد مكان للهرب، ظل في مكانه يتفقد أرض المعركة، ويبحث عن ثقب إبرة للهرب منه، حتى لمح مكانًا خاويًا، فهرول إليه متخفيًا عن أعين الجنود.

★★★

(٢٤)
تدمير الأنفاق

وفي لحظة هجوم عبد الله كان عُمر قد باغت العدو في مقره، وشن حربًا قاسية عليه بعدما قسم فريقه إلى قسمين.
توجه القسم الأول ناحية المدخل الرئيسي للنفق والذي أكتشفه خالد، وكانا عُمر وأحمد في قيادته ومعهم مجموعة من الجنود.
وسار القسم الثاني إلى الاتجاه الغربي حيث المغارة التي بداخلها المدخل أو المخرج الثاني للنفق، وكانا خالد وإسلام في قيادته، ومعهم أيضًا مجموعة من الجنود.

تحركا الفريقان كثورة غضب عارمة تجتاح كل ما في طريقها، واندلعت النيران الحارقة؛ لتُلهب حماس الجنود بعدما شنت الدبابات هجومها العنيف على العدو، ونشرت شظاياها في كل مكان من أرض المعركة.
وأطلق فريق خالد قاذف أربيجيه كسيل جارف نحو المغارة، فأصبحت رُكامًا وحطامًا أفزع منظره رجال «أبو عوف» فتحركوا بغضب عارم نحو الجنود.

اشتعلت الحرب بعدما فقد الإرهابيون ملجأهم جراء التفجير، ولم يجدوا مفرًا من الجنود إلا قتالهم بعدما خارت قوتهم، ووهنت عزائهم.

وبعد مناوشات من العدو بعدما أحاطهم الفريق من كل مكان، ومحاولات فاشلة مُحبطة منذ بدايتها قُتل فيها الكثير من الرجال رضخوا للجنود، وفضّلوا السلامة قبل الندامة، ورموا أسلحتهم أرضًا ثم رفعوا أياديهم خانعين، وسلموا أنفسهم لرحمة الجنود الشجعان، فقيدوهم وذهبوا بهم إلى سيارة كبيرة مصفحة ثم احتجزوهم بها.

***

وعلى الجانب الآخر كان عُمر وفريقه يقاتلون قتال الأبطال، وأبلوا بلاءً حسنًا في مواجهة رجال «أبو عوف» المقربين، والذين تسللوا منزعجين خارج الأنفاق بعدما أُمطرت عليهم رصاصات الجنود، وانتشر دوى صوت الانفجارات في كل مكان.

فكانت البداية لحرب ضارية بعدما دقت ناقوسها القذائف التي انطلقت من فوهات الدبابات الحربية، والتي دمرت أنفاق العدو؛ لتعلن عن حرب لا رجوع فيها.

دارت رُحى الحرب، وذاق وبالها رجال «أبو عوف» بعد الهزيمة التي حلت عليهم نتيجة للهجوم المتتابع عليهم، والذي استنزف كل

طاقاتهم، فقرر «أبو عوف» النجاة بنفسه من المعركة الخاسرة بكل المقاييس.

وعلى الفور قام بتنظيم الرجال، وقام بحيلة للهروب المستحيل، ثم نادى على الرجال بصوت عالٍ في أرض المعركة:

- أيها الرجال تراجعوا إلى الخلف، سننسحب إلى المغارة إلى النفق الغربي!

فتقهقرت جموع رجاله إلى الخلف بعدما بدل " أبو عوف « ملابسه بملابس أحد رجاله، وانطلقوا محتاطين إلى النفق الغربي، فصاح أحمد:

- قائدي! إنهم يتقهقرون للذهاب ناحية المغارة، ومعهم أبو عوف، وسيداهمون فريق خالد.

فصاح عُمر أمرًا فريقه بالإسراع خلفهم، ثم توقف فجأة عندما لمح بطرفه ثلاثة رجال يهربون نحو الطرف الآخر (الشرق) فتسلل الشك إلى عقله، وقال في سره:

- لماذا يهربون أولئك الرجال دون غيرهم في تلك الاتجاه؟ إن في الأمر لحيلة.

ثم أمر عُمر أحمدًا بمطاردة الإرهابيين الفارين ناحية المغارة، وسيذهب هو لمطاردة الإرهابيين الثلاث الهاربين نحو الشرق.

أسرع أحمد وجنوده خلف الإرهابيين لدعم خالد، وإسلام ضد

غاراتهم التي باتت مؤكدة الحدوث، وبعد قطع مسافة طويلة دون انقطاع، وهم يلهثون خلفهم توقفوا فجأة عندما رأوا فريق خالد، وإسلام يتقدم بمضرعاتهم نحو الإرهابيين الفارين، ومن خلفهم سيارة مصفحة.

حاصرا الفريقان الإرهابيين الفارين، واشتعلت نيران حرب جديدة؛ لتبشر بطلوع فجر يوم جديد لا يشوبه الخوف والهلع، وبشروق شمس جديدة تنشر أشعة الأمان في كل الأرجاء، وتبعث الأمل والحرية في نفوس المقهورين.

وكانت الملحمة الكبري التي ستعيش خالدة أبد الدهر، وتتناقلها الألسنة بمختلف اللهجات، واللغات في كل بقعة من بقاع الأرض معبرة عن فخر انتصار كبير على أخطر خلية إرهابية في العالم، والتي زرعها عدونا الخارجي؛ ليفسدوا في أرضنا، وينتهكوا محارمها.

انتهت المعركة بفوز محقق للجنود الأبطال، وتراكمت الجثث أكوامًا، وقال خالد متسائلًا:

- أين قائدي يا أحمد؟!

- ذهب خلف ثلاثة من الإرهابيين فروا ناحية الشرق.

ثم أمر خالد الجنود بالبحث عن جثة «أبو عوف» بين القتلى.

ففتش الجنود بين أكوام الجثث المتراكمة عن جثة « أبي عوف «

ولم يجدوها، فأسرعوا إلى خالد؛ ليخبروه عن الواقع الأليم.

ولما علم خالد ذلك الخبر قال لأحمد:

- هل شككت في أمر ما عند ذهاب القائد عُمر؟

أجاب أحمد:

- لا، ولكن أظن أن «أبا عوف» كان مع الهاربين الذين يطاردهم عُمر.

قال خالد:

- أبو عوف غير موجود بين الجثث، وهرب ثلاثة منهم.

ثم صمت لوهلة، ثم صاح بعد تفكير عميق:

- قائدنا في خطر، انطلقوا يا أبطال نحو الشرق!

قال إسلام معاتبًا لأحمد:

- لن أسامحك إن حصل لقائدي شيء.

تحرك الفريق بخيبات الندم على ترك عُمر بمفرده، ودارت في مخيلتهم الكثير من الأشياء السيئة.

- ماذا سيحدث لعُمر؟

- حقًا هل كان «أبو عوف» موجودًا عند مدخل النفق الرئيسي؟

- أم ذهب للمقايضة من أجل أخيه « درع الحق «؟

★★★

(٢٥)
مقتل درع الحق

حاول درع الحق الهروب من مأذقه، ولكن لا يوجد مكان للهرب، وظل في مكانه يتفقد أرض المعركة، ويبحث عن ثقب إبرة للهرب منه، حتى لمح مكانًا خاويًا، فهرول إليه متخفيًا عن أعين الجنود.

أسرع درع الحق نحو سيارة جيب سوداء كانت موجودة على مقربة من أرض المعركة، ولما وصل إليها قفز بداخلها، وشرع في تشغيل محركها على وجل وترقب للمستقبل الجديد.
تصاعدت أصوات محرك السيارة رويدًا رويدًا حتى سمعها عبد الرحمن، وصاح قائلًا:
- إنه يهرب، أدركوه ولا تجعلوه يلوذ بالفرار.
فأسرع مصطفي خلفه قبل أن تسرع السيارة، وتشبث بها من الخلف، وعندما رآه « درع الحق « راوغ بسيارته؛ ليفقده توازنه؛ ويسقطه أرضًا، لكن مصطفي ظل صامدًا كالسد المنيع في مواجهة السيل الجارف حتى قفز بداخل السيارة، وجرى نحو كابينة القيادة، وتشابكت الأيادي بقوة، وانحرفت السيارة عن مسارها، واتجهت نحو منحدر يقود إلى الهلاك.

رأى مصطفي أن لا سبيل للنجاة إلا بالقفز من السيارة وهى مسرعة بعدما رآها اقتربت من الهاوية، فقفز منها على الرمال، وسقطت السيارة إلى المنحدر، وظلت تتقلب وترتطم بالصخور حتى وصلت إلى قاع المنحدر، ثم انفجرت بعدما تسرب البنزين منها أثناء الارتطام، ومات «درع الحق» أثناء الحادث.

عاد مصطفي إلى عبد الله، وعبد الرحمن وأخبرهما بما حدث حينما رآهما قد تخلصا من كل الإرهابيين الذين أتوا إلى المقايضة بما فيهم «ربيع الليل» مساعد «أبو عوف»

ثم قرروا جميعًا الذهاب إلى عُمر، ومساندته في هذه الحرب الطاحنة

وأخذ عبد الرحمن جهاز اللاسلكي من عبد الله؛ ليتواصل مع قائده عُمر .

أجاب عُمر وهو ينهج:

- ما الخبر يا أسودي؟!

- الوضع على ما يرام يا قائدي، لقد تخلصنا من « درع الحق «، و« ربيع الليل « بمساعدة الجندي الشجاع « عبد الله «.

- أحسنتم يا أسودي!

- أين أنت يا قائدي؟

- في الوادي المظلم خلف ثلاثة إرهابيين فارين.

- هل أنت وحيدًا يا قائدي؟

- نعم، لقد ذهب أحمد، والجنود خلف الإرهابيين الهاربين نحو المغارة؛ لدعم خالد، وإسلام.

- تمام، سأتواصل معهم، ونلحق بك يا قائدي!

- تمام يا عبد الرحمن، كونوا حذرين!

أسرع عبد الرحمن عقب انتهاء حديثه إلى فريقه، وأخبرهم بوضع القائد عُمر، وحثهم على سرعة التحرك إليه، والتواصل مع فريق أحمد، وخالد.

تحرك الفريق إلى الوادي المظلم بعدما تواصلوا مع أحمد، وأخبرهم أحمد بما حدث لهم، وأخبرهم عن المعركة المشتركة مع خالد، وإسلام ضد الإرهابيين، وما حدث للقائد عُمر.

فأخبرهم عبد الرحمن بأن القائد عُمر ذهب إلى الوادي المظلم وراء الهاربين.

فقال أحمد متسائلًا:

- الوادي المظلم؟!

أجابه عبد الرحمن:

- نعم، هل هناك ما يدعو للقلق؟

أجابه أحمد:

- نعم، الوادي المظلم ما هو إلا حقل ألغام، وموت محقق لا محالة.

فقال عبد الرحمن:

- ولكنه يقع بالقرب من السواحل، ويتوسطه طريق آمن.

قال أحمد:

- أعلمُ ذلك، ولكن لا أحد يعرف مكان الطريق الآمن بالإضافة إلى أنه ينتهي عند الساحل، ومن يسلكه يضطر إلى خوض البحار؛ للرجوع مرة أخرى إليه.

قال عبد الرحمن متسائلًا:

- كيف ذلك؟

أجابه أحمد قائلًا:

- إنه طريق الأهوال والمخاطر كما يزعمون، ولا أعرف عنه المزيد، ولكن دعنا نجرب حظنا، ونلتقى بالقرب منه عند المدخل الشرقي، ثم ننطلق معًا إلى قائدنا عُمر.

★★★

(٢٦)
قتل الأفعى وإصابة القائد

لم يخطر ببال عُمر أنه يطارد « أبا عوف» وإثنين من رجاله حتى وصل إلى الوادي المظلم، وهو وادي تحفه المخاطر والأهوال بأفخاخه، وطرقه الواعرة، وأرضه المنزلقة الغير مستوية، وتنتهي حدوده عند ساحل البحر.

وقف عُمر متأملًا الوادي، ورنا إلى سبله الكثيرة، والمتقاطعة مع بعضها البعض كالمتاهة باحثًا عن الهاربين الثلاثة، ومتسائلًا عن أي طريق سلكوه، وقطع تأمله صوت قادم من ناحية المدخل الشرقي للوادي المظلم.

أسرع عُمر في اتجاهه حتى وقع بصره على رجل طويل القامة يهرب داخل الوادي المظلم فأسرع في ملاحقته حتى لاحظه الرجل فهرب مهرولًا ناحية طريق صخري بين الصخور المتلاصقة، وأختبأ خلف إحدى الصخور العاتية.
ولما وصل عُمر إلى الطريق الصخري لم يجده، وبينما عُمر في طريقه للبحث عن ذلك الهارب لاحظ أثرًا ينتهي عند صخرة

قريبة منه، فأسرع في اقتفائه حتى وصل إليها، وظل يبحث بجوارها حتى كاد أن يصل إلى ذلك الرجل الهارب، ولكن سرعان ما انهالت عليه الرصاصات من ثلاث اتجاهات مختلفة.

فأسرع عُمر في الاختباء خلف صخرة، وجعلها ساترًا واقيًا له ضد الرصاص، وبادلهم بإطلاق الرصاص عليهم من كل الاتجاهات في لحظات متفرقة، وأصاب اثنين منهم، ثم انطلق مسرعًا من خلف الصخرة في اتجاه الرجل الثالث، ولكن سرعان ما تسمر في مكانه عندما رآه يخرج من خلف الصخرة، واكتشف إنه «أبو عوف».

وقال له عُمر بامتعاض:

- أيها الجبان الماكر! رميت برجالك وسط النيران، وها أنت تهرب مضحيًا بهم.

قاطعه أبو عوف صارخًا:

- لست جبانًا، وإنما هي حيل الحرب أيها القائد!

قاطعه عُمر مستنكرًا:

- حرب! أي حرب تقصد أيها الأبلهُ، هل تسمون المجازر التي ارتكبتموها بحق الأبرياء حربًا؟!

إنها ليست عادلة بكل المقاييس، فالحرب مواجهة وجهًا لوجه مع عدو شريف، وليست مع خائن غادر جعل من الأبرياء وجهته أيها الخسيس!

صرخ أبو عوف بعدما تملكه الغضب قائلًا:

- كفي هراء، لقد قتلت من أمثالك الكثير أيها القائد! هل سمعت عن مجزرة أتوبيس الجنود؟

قال عُمر صارخًا:

- ماذا تريد أيها الوغد؟! لا تحاول اختبار صبري.

فأكمل أبو عوف حديثه قائلًا:

- أولئك الجنود الحمقى كانوا سببًا في تدمير الكثير من عملياتي، وكان من بينهم قائدًا مثلك تمامًا متعجرف، وقليل خبرة سبّب لي الكثير من الإزعاج.

وسنحت لي الفرصة؛ لكي ألقنه درسًا لا ينساه مَن يأتي من بعده حينما علمت أنهم سيذهبون لقضاء أجازة بعد شهور متواصلة في الكتيبة، وأنهم سينطلقون إلى رحلتهم عُزلًا دون سلاح، فتربصت لهم ونصبت كمينًا وسط الصحراء الشاسعة القفراء بعدما علمت مكان عبورهم.

وجاءت ساعة الصفر، وتم تفجير الأتوبيس بما فيه، وماتوا جميعًا، ولم ينجو أحدًا منهم.

صرخ عُمر غاضبًا، وأسرع نحوه قائلًا:

- أيها الخسيس عديم الإنسانية والشرف!

فسقط عُمر أرضا بعدما أصابته رصاصة في ظهره، ونظر خلفه

فرأى أحد رجال «أبو عوف» مازال حيًا، وأصابه برصاصته في ظهره فأطلق عليه عُمر رصاصة أصابت رأسه وخرّ صريعًا.
ثم تحامل على نفسه، وانطلق خلف «أبي عوف» مطلقًا نحوه وابلًا من الرصاص حتى أرداه قتيلًا.

تحامل عُمر على نفسه مرة أخرى، وأسند ظهره على صخرة، ثم أخرج من جيبه أوراقًا وقلمًا، ثم شرع في الكتابة.
ظل عُمر يكتب سطرًا تلو الآخر، وورقة تلو الورقة حتى لاحظ رجلًا يقترب منه، فكتب عُمر إني أرى رجلًا.....
فشعر بدوار وسقط القلم من يده وتطايرت الورقات من بين يديه، وارتطمت رأسه بالصخرة، فسقط أرضًا قبل الانتهاء من كتاباته، وأصبحت صورة الرجل تختفي رويدًا رويدًا حتى أغلق عُمر كلتا عينيه، وأغُمي عليه.

★★★

(٢٧)
الاختفاء الغامض

التقى الفريقان بالقرب من الوادي المظلم بعدما سلكوا الكثير من الطرق الواعرة، ووقفوا يتفقدون الوادي من حولهم، وتذكروا كل الأقاويل التي سمعوها عن الوادي المظلم وطرقه الواعرة، وقال خالد متسائلًا:

- لماذا يسمونه بالوادي المظلم؟

فأجابه أحمد قائلًا:

- إنه أسطورة كأساطير اليونانين، ربما لغموضه.

وقال لهما إسلام:

- دعكما من هذه الهراءات والخرافات الآن، وهيا نبحث عن قائدنا.

ساروا جميعًا إلى الوادي المظلم، والخطر محدق بهم، وانتشروا في كل مكان؛ يبحثون عن قائدهم، وحاولوا التواصل معه، ولكن لا توجد إشارة داخل الوادي.

فأستغرب عبد الرحمن، وقال متسائلًا:

- لماذا لا توجد إشارة؟ وقد تواصلت قبل قليل مع قائدي وأخبرني

بوجوده في هذا الوادي.

فصاح مصطفي قائلًا:

- ألم تقولوا عنه وادي الأساطير؟ ربما يوجد في هذا المكان سحرًا أو ما شابه.

وقال عبد الله:

- لا تتوهموا إنما هي خزعبلات لا يصدقها عقل مؤمن، ربما قائدنا في خطر ويحتاج إلى مساعدة يا أبطال!

قلق الجميع، وبحثوا عن الطريق الآمن حتى وجدوه بالقرب منهم، ثم ساروا فيه يبحثون عن قائدهم وسط الأهوال في وادي الموت، أو كما يسمونه الوادي

المظلم.

ولمح أحمد من بعيد شخصين طريحين على الأرض فأشار بيده إلى الفريق أن أسرعوا نحوهما.

لم يتوقف الفريق لحظة واحدة، وانطلقوا وجلين قلقين على قائدهم عُمر حتى وصلوا إلى صخرة رأوا من خلفها رجل مُلقى على الأرض فأسرعوا نحوه وقلبوه؛ ليروا وجهه.

«أبو عوف» قالها خالد مذهولًا.

وقال إسلام متسائلًا:

- أين قائدي عُمر؟ لم يكن سوى ثلاثة أشخاص فروا ناحية الشرق

وطاردهم قائدي، وها هم أجساد بلا أرواح، ومثخنين بالجراح.

وازدادت الطينة بلة حينما رأوا دماءً متناثرة على صخرة لا يوجد بجوارها أحدًا من القتلى، ووجدوا أوراقًا متناثرة بجانبها فالتقطها أحمد، وفتحها، وشرع في قراءتها، وقطع خالد قراءته، وقال له:

- دعنا نأخذها للقائد حجازي.

فقال له أحمد:

- إنها رسالة من عُمر ربما بها شيء مهم يوصلنا إليه.

قال خالد:

- هيا نقرأ بعض سطورها على عجل.

وعندما انتهيا من قراءتها قال أحمد متسائلًا:

- مَن الرجل الذي رآه قائدي، ولماذا لم يكمل قائدي رسالته؟

قال خالد:

- لا أدرى، لقد أخبرتمونا بهروب ثلاثة أشخاص، من أين ظهر الرابع؟

ثم أكمل حديثه بعدما صمت لوهلة:

- من الأفضل الذهاب إلى مقر القيادة؛ لإعلامهم بالوضع فلقد بحثنا كثيرًا عن قائدي، ولم نرى له أي أثر، علاوة على ذلك المكان ملغم، فيجب علينا الانطلاق قبل حلول المساء، وقبل أن يخيم علينا ظلام الليل.

★★★

(٢٨)
رسالة عُمر

وصل الفريق إلى مقر القوات الخاصة، وكان في انتظارهم اللواء حجازي، والحاج صالح، وسارة بعدما علموا بالأحداث الأخيرة، وتلاقت الوجوه الحزينة من الأحداث الأليمة، وسيطر الحزن والقلق على أرض المقر، وتقدم أحمد إلى اللواء حجازي ومعه رسالة عُمر فطلب منه قراءة الرسالة في حضور الجميع.

تقدم أحمد إلى المنصة التي تتوسط الحضور، وشرع في قراءة الرسالة وكلهم آذان صاغية.
« أنا عُمر... مقدم في القوات الخاصة المسلحة.. ولدت لأناس بسطاء.. أنا ابن مصر، لا، بل إبنًا للشعوب الإسلامية كلها.

خضت الكثير من الحروب ضد الإرهابيين الذين لا يعرفوا ملة ولا دين. أُدافع عن العالم الإسلامي أجمع، وأُلبي نداء الحرب دفاعًا عن الأبرياء.
لا أعلم هل ستصل إليكم رسالتي هذه أم لا؟ ولكنني أعلم أن النضال ضد الأشرار لا يتوقف بموتي أو بحياتي.

ستتألم حبيبتي عندما تسمع رسالتي، فلا أدري هل سنلتقي بعد الفراق أم لا؟

فحينما تبتسمين تخطف ابتسامتك الجميلة القلوب، وتجعلينني أهيمُ عشقًا في جمالك وأذوب، ولا أرى لكلكِ عيوب، وكيف أرى بعدما صرتِ لي حبيبًا

ومحبوب؟

أنتِ وردة في بستاني، وأنتِ لحن من ألحاني، بل أنتِ ملكتي كل كياني.

كتبتُ من أجلكِ كل الأشعار، ورميتُ قلبي في بحر نار، بعدما تسللت إليه بعد طول حصار، إنها براكين الحب التي لا تنطفئ. إنها نيران الشوق التي تشتعل بداخلي دون سابق إنذار، فأصبحت منها تائهًا في عيونكِ المتلونتين كلون الخضار. إنه حقًا يوم اجتماعنا كان يوم الانتصار.

وسيحزن جدي كثيرًا عندما تصله كلماتي، لا تحزن يا جدي! فلقد كنت نعم الجد والأب في آن واحد.. لم تشعرني يومًا بفقدان والداي.

وسيبكون أصدقائي كثيرًا ورفقائي.. فريقي الذي لم أكن قائدًا لهم فحسب، بل كنتُ أخًا، وكانوا لي إخوة، ولولاكم لظل الأعداء

يرتعون في أرضنا دون رادع لهم ولا سيف بتار يجذ رقاب المتربصين بنا.

ولا أنسى الشعوب العربية والشتات والوهن الذي أصابنا بعد تفرقنا.

«» إن ما تعيشه أمتنا اليوم من تفكك وتشرذم يشبه - إلى حد بعيد - حالات عاشتها من قبل، تقطعت فيها الراية الواحدة إلى عدة رايات.. يقاتل بعضها بعضًا، وتمزق فيها الشعب الواحد إلى شعوب ودول شتى، وما أشبه الليلة بالبارحة، تلك الحالة تشابه كثيرًا ما نقاسيه اليوم من شتات وضياع. في ظل المتغيرات الدولية التي يشهدها العالم بأسره، والتي تنعكس آثارها المباشرة على أمتنا العربية وعالمنا الإسلامي، وفي ضوء ما يشهده العالم من تكتلات وتحالفات يتساءل المسلمون اليوم عن موقعهم وعن طموحاتهم وأساليب تحقيقها. ولا يكاد يختلف اثنان على أن الوحدة هي السبيل الأمثل - إن لم نقل الأوحد - لتجاوز تحديات المرحلة، والعودة بالأمة إلى موقعها المعهود الذي ذكره الله تعالى بقوله: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...} [آل عُمران:١١٠]، ولكن: ما نمط الوحدة المنشودة وما هويتها؟ أهي فيدرالية أم كونفيدرالية، أم أن نظام الخلافة المتبع في سالف الأيام هو النموذج الأنسب؟ وهل تكون نواتها وحدة بين الأقطار العربية؟ ثم ما السبيل إلى تحقيقها في ظل الصورة السوداء المأساوية للوضع العربي والإسلامي

الراهن؟.. ما لا شك فيه أن مبدأ القومية هو من الحقائق الأساسية للعُمران البشري، وأن أمتنا تمتلك كل مقومات الوجود القومي من لغة وتاريخ وحضارة وقيم.. ولعل ابن خلدون كان محقًا في التأكيد على ضرورة وجود عصبية تبني الدولة وتحافظ عليها وتطورها، فلا بأس أن تكون نواة هذه الوحدة عربية، أما تحقيق هذا الهدف فمنوط بهمة الشرفاء الغيورين لانتشال الأمة من براثن الصراعات الطائفية والإقليمية، والمعارك المذهبية والنظرة القطرية القاصرة، والانتباه إلى الأخطار المحدقة بوجود الأمة ككل، والنهوض للقيام بالمهام الجليلة التي تنتظرهم. ولكن دروس التاريخ، وبالأخص المعاصر منه، تثبت أنه لا يمكن الركون إلى العوامل الموضوعية لتفعل فعلها بشكل آلي خارج إرادة الناس فتوجههم نحو تجسيد ما ترمي إليه تلك العوامل، فمنذ نحو قرن والمشاريع الوحدوية المبنية على أساس القومية العربية تتعرض للإجهاض والانكفاء، فقد إنتهى مشروع الشريف حسين لإقامة دولة عربية موحدة إلى ما هو أسوأ من الفشل، إلى وعد بلفور وتجزئة الجزيرة العربية والهلال الخصيب وغيرها. وتتالت مشاريع الوحدة الفاشلة، ومن أهمها الوحدة المصرية السورية، والاتحاد الهاشمي، والوحدة المصرية اليمنية، والاتحاد الثلاثي المصري العراقي السوري، واتحاد الجمهوريات العربية (المصرية السورية الليبية)، والوحدة السورية العراقية، ووحدة الضفتين الأردنية والفلسطينية جراء

احتلال إسرائيل للضفة الغربية.. ومجلس التعاون العربي المصري اليمني الأردني العراقي، والاتحاد المغاربي (الذي يراوح مكانه). وعقب كل تجربة فاشلة تعلن العداوات، وتشن الحملات الإعلامية ضد الطرف الآخر المتواطئ والعميل والرجعي..! بل وتتعداها إلى قطيعة اقتصادية ودبلوماسية، وتعطيل للتعاون على كافة الأصعدة، وتآمر ودعم للقوى المعارضة للطرف الآخر، وكانت الوحدات الناجحة قليلة أهمها: وحدة بعض أقاليم شبه الجزيرة في المملكة العربية السعودية، واتحاد الإمارات العربية، ومجلس التعاون الخليجي، ووحدة شطري اليمن، الذي لا تزال النوائب تتهدده.

كانت تجربة الجامعة العربية إحدى المحاولات الوحدوية في العالم العربي، فقد تم توقيع ميثاقها عام ١٩٤٦ في الإسكندرية، وقبل عشر سنوات من انبثاق فكرة الاتحاد الأوروبي، غير أن الجامعة العربية أخفقت وعلى جميع الأصعدة، ولم تتحرك إلى الأمام قيد أنملة، رغم الكثير من الاجتماعات والمؤتمرات واللجان والمؤسسات والهياكل والقمم. وإن العاقل ليتولاه اليأس والحزن عندما يمعن فيما آلت إليه الأمور، فبعد مضي قرن من الزمن على أفول السلطنة العثمانية، والحرب العالمية الأولى وما تلاها من محاولات وحدوية، ما زالت خيارات العالم العربي يمليها الغير، ويقرر الغريب مستقبله، ويؤثر في صنع قراره!

في العقد الأخير من القرن الماضي أفاق المسلمون عامة والعرب بشكل خاص على جملة من المتغيرات الدولية، التي ولدت واقعًا مستجدًا جعل من وحدتهم (أو اتحادهم) أمرًا لا مفر منه إذا أرادوا البقاء في عالم يحكمه الأقوياء. وأسباب فشل المحاولات المتكررة للوحدة العربية والتي يمكن تلخيص أهمها بما يلي:

الأطماع الاستعمارية في مقدرات الأمة، فهي أرض الديانات والتاريخ، وفيها تتقاطع طرق التجارة والاتصال، وتحتوي على مخزون هائل من النفط والفوسفات واليورانيوم؛ لذلك نرى قوى الشر تتكالب عليها بغرض إبقائها على ما هي عليه من خلاف وفرقة، وتمزق وتناقض يصل إلى حد القطيعة والحرب.

العوامل الاجتماعية: يرى كثيرون أن آمال الوحدة ما زالت مقصورة على السياسيين والمثقفين، ولم تشترك فيها القاعدة الجماهيرية صاحبة المصلحة الأولى في الوحدة، ومردّ ذلك غياب علماء الاقتصاد والاجتماع وخبراء التعليم عن الدعوة للوحدة، وهم من يقع على عاتقهم وضع أسس أية وحدة. فمنذ فترة طويلة غابت قضية الوحدة عن جداول المنتديات الاجتماعية والاقتصادية والطلابية، فربما نسمع في نشرات الأخبار عن مسيرة لدعم صمود إخواننا في فلسطين دون التطرق من قريب أو بعيد لقضية الوحدة، ويرى هؤلاء أن بناء القاعدة الشعبية هي الخطوة الأولى في بناء الصرح الوحدوي للأمة.

العوامل الاقتصادية: كما يرى المحللون أنه إذا لم ترتبط الوحدة بمشاريع اجتماعية ملموسة، وإذا لم ترتبط الوحدة بالخبز اليومي، وبتوزيع متعادل للثروات، والسُّلطات، وإذا لم ترتبط برفع مستوى عيش المواطن، فهي مجرد شعار استهلاكي ووصولي، وبالتالي فهي وحدة ميتافيزيقية. غياب التصور الموحد للوحدة العربية وآلية تحقيقها: انقسم المفكرون العرب في مسألة تحقيق الوحدة إلى عدة فئات، فمنهم من يعتقد بأن درب الوحدة هو درب اللغة والتراث والتاريخ، ومنهم من ينفي ذلك، وفريق آخر يذهب إلى أن درب الوحدة يعني درب حل كل المشاكل المعلقة والمستعصية، ويرى فريق آخر أن الأسلوب العسكري هو الأمثل والأسرع لتحقيق الوحدة، ويعتقد آخرون أن طريق الوحدة يكمن في التماثل السياسي والتكامل الاقتصادي، ومنهم من يعتبر أن سلوك درب الحرية والديمقراطية هو الطريق الأمثل إلى الوحدة، وفريق يقول علينا أن نوجد صيغًا جديدة للوحدة، وفريق آخر أكد على ضرورة النقد العقلاني العلمي لتجارب الوحدة السابقة.

نماذج على توحيد الأمة من تاريخنا الإسلامي: إذا عدنا إلى تاريخ أمتنا المجيد، لنقرأ بين صفحاته المضيئة عن تجارب وحدوية فريدة، قام بها رجال أفذاذ تميزوا بصدق النية وإخلاص السريرة، بعيدًا عن التنظير والسفسطة والمؤتمرات العقيمة، وعلى رأس هؤلاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي حول قبائل

العرب المتناحرة فيما بينها إلى خير أمة أخرجت للناس، وبعثها بعثًا جديدًا أقرب ما يكون إلى المعجزة، فحملت لواء الحضارة الإنسانية ومشت في طليعة الركب البشري لقرون عدة.

كانت الحياة العربية قبل الإسلام تقوم أساسًا على نمطية خاصة؛ فالقبيلة هي التنظيم الاجتماعي والسياسي الذي يضم حياة الفرد في القبيلة، فكان انتماء العربي الجاهلي انتماءً قبليًّا، وليس هناك أية رابطة عملية توحد القبائل وتجمعها، بل على النقيض؛ كانت القبائل متناحرة متحاربة، وإذا ما قامت أحلاف قبلية، فلِمُنَاصرة قبيلة على أخرى. ومن هنا كان الانقلاب الذي أحدثه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عميقًا في حياة الجزيرة العربية؛ إذ استطاع بسياسته التي تُمليها روح الإسلام أن يحول هذه الوحدات القبلية المستقلة، ويرتقي بها لتظهر في إطار الأمة الإسلامية، أمة لا فضل فيها لعربي على أعجمي، أو لأبيض على أسود إلا بالتقوى، يصرح قائدها أمام الملأ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» (متفق عليه)، أمة يتساوى فيها عُمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين مع أضعف فرد مسلم وأقلهم شأنًا. ويؤكد ذلك المفكر الألماني رودي بارت بقوله: «جاء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) يبشر العرب والناس أجمعين بدين جديد، ويدعو إلى القول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعة في دعوته لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتع مثلها بسلطة إلهية

ملزمة، لا تضبط الأمور الدينية فحسب، بل أيضًا الأمور الدنيوية، وعندما قُبض النبي العربي (صلى الله عليه وسلم)، كان قد انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيرًا فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية، وتمت للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل..».

ويتحدث الباحث الأمريكي جورج دي تولدز(١٨١٥-١٨٩٧)، عن فضل الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) على العرب حين نقلهم من الهمجية إلى المدنية، وعن دور الرسالة في تبديل أخلاق عرب الجاهلية، حين عُمر ضياء الحق والإيمان قلوبهم، فيقول: «إن من الظلم الفادح أن نغمض الجفن عن حق محمد (صلى الله عليه وسلم) والعرب على ما علمناهم من التوحش قبل بعثته، ثم كيف تبدلت الحالة بعد إعلان نبوته، وما أورته الديانة الإسلامية من النور في قلوب الملايين من الذين اعتنقوها بكل شوق وإعجاب من الفضائل؛ لذا فإن الشك في بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) إنما هو شك في القدرة الإلهية التي تشمل الكائنات جمعاء». ويبين آرنولد توينبي أن: «النبي محمدًا قد وقف حياته لتحقيق رسالته في كفالة مظهرين أساسيين في البيئة الاجتماعية العربية؛ هما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم، وتم ذلك فعلًا؛ فغدت للإسلام بفضل ذلك قوة دافعة جبارة لم تقتصر على كفالة احتياجات العرب، ونقلهم من أمة جهالة

إلى أمة متحضرة، بل تدفق الإسلام من حدود شبه الجزيرة، واستولى على أجزاء كبيرة من العالم تمتد من سواحل الأطلسي إلى شواطئ السهب الأوراسي».

كيف حول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمة العرب من قبائل متناحرة إلى أمة محترمة؟ بهذا الإيمان الواسع العميق، والتعليم النبوي المتقن، وبهذه التربية الحكيمة الدقيقة، وبشخصيته الفذة، وبفضل هذا الكتاب السماوي المعجز الذي لا تنقضي عجائبه، بعث رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) في الإنسانية المحتضرة حياة جديدة. عمد إلى الذخائر البشرية وهي أكداس من المواد الخام لا يعرف أحد مكامنها، وقد أضاعتها الجاهلية والكفر والإخلاد إلى الأرض، فأوجد فيها بإذن الله الإيمان والعقيدة، وبعث فيها روحًا جديدة، وأثار من دفائنها، وأشعل من مواهبها، ثم وضع كل شخص في محله فكأنما خلق له، وكأنما كان المكان شاغرًا لم يزل ينتظره ويتطلع إليه، وكأنما كان جمادًا؛ فتحول جسمًا ناميًا وإنسانًا متصرفًا، وكأنما كان ميتًا لا يتحرك؛ فعاد حيًّا يملي على العالم إرادته، وكأنما كان أعمى لا يبصر الطريق فأصبح قائدًا بصيرًا يقود الأمم. عمد إلى العرب التائهين، فما لبث العالم أن رأى منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر وسوانح التاريخ، فأصبح عُمر الذي كان يرعى الإبل لأبيه الخطاب، وينهره وكان من أوساط قريش، لا يتبوأ منها المكانة العليا، يفاجئ

العالم بعبقريته وعصاميته، ويدحر كسرى وقيصر عن عروشهما، ويؤسس دولة إسلامية، تجمع بين ممتلكاتهما، وتفوقهما في الإدارة وحسن النظام، فضلًا عن الورع والتقوى والعدل، الذي لا يزال فيه المثل السائر. هل كانت كلمة التوحيد السبب في توحيد الكلمة؟ وتمر السنون، وتتوالى النكبات على الأمة الإسلامية، فتارة يهاجمها الصليبيون في تجمع لم يسبق له مثيل، فاستباحوا الأعراض والدماء، فهيأ الله للأمة قائدا لملم شتاتها، ووحّدها تحت راية الدين والشريعة، وقام بعملية بعث وإحياء على الجبهتين اللتين لا يمكن للأمة المسلمة أن تستغني عنهما، جبهة العلماء وجبهة الحاكم والوزراء وأصحاب النفوذ الغيورين، فكان الاتحاد بين جبهة العلماء وجبهة الحاكم له كبير الأثر في تحرير المسجد الأقصى من أيدي الصليبيين، وهو الهدف الذي تحركت له الأمة وعملت من أجله على جميع الجبهات. كان صلاح الدين رجلا يتمتع برجاحة العقل وإخلاص النية، فبدأ بتوحيد المسلمين فأرسل حملة إلى جنوب مصر لتأمينها من الجنوب بقيادة شقيقه شاه بن أيوب، وأرسل حملة إلى اليمن بقيادة شقيقه الأمير شمس الدين توران شاه لتأمين البلاد في بحر العرب ومضيق باب المندب والبحر الأحمر، ولما توفي نور الدين محمود زنكي، ضم صلاح الدين دمشق بناء على طلب أهلها، ثم زحف بعد ذلك إلى حمص وحماه والموصل فتوحدت تحت إمرته. وكان

هدف صلاح الدين توحيد الأمة أولًا ثم تجنيد كل الإمكانيات لقتال الصليبيين وإخراجهم من أرض الإسلام، وتحرير القدس واسترداد الكرامة العربية والإسلامية. وتارة يبهتها السيل المغولي المدمر الذي لم يبق ولم يذر، ويكتسح الولايات الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، ويصل لحدود مصر، فينبري له حكامها المماليك، ولا يكتفون بإبعاد الخطر المغولي عن مصر وحدها، فالقضية بالنسبة لهم قضية أمة، فيلاحقون فلول الجيش المغولي المنهزم، ليتم لهم توحيد الشام ومصر استعدادًا لتطهير البلاد من الصليبيين. نحن مطالبون اليوم - أكثر من أي وقت مضى - بالاستفادة من تلك التجارب ودراستها بجدية ووعي، كي نتعلم منها ونعمل لتحقيق هدف الوحدة الذي تتوق إليه الأمة.

★★★

(٢٩)
حزن ثم بُشرى

سامحوني جميعًا حتى أرتاح، فلا أعلم هل يا تُرى سنلتقى بعد الغياب أم لا..؟

فإني أرى جُرحى ينزف ولا يتوقف، وسرت الآلام في جسدي سريانًا، وما عدتُ قادرًا على حمل القلم وكتابة كلماتي، فإني أرى رجلًا.....

صمت أحمد وتوقف عن القراءة فصاحت سارة قائلة:

- لماذا توقفت عن القراءة يا أحمد؟!

أجابها:

- لقد انتهت الرسالة يا أختاه!

قالت:

- كيف؟ ومَن ذلك الرجل الذي رآه عُمر؟

أجابها أحمد قائلًا:

- لا أدرى، عندما وصلنا إليه لم نجده، ووجدنا الرسالة بالقرب من الرجال الذين لقوا حتفهم على يد قائدي الشجاع، ولا ندرى هل هو حي أم ميت؟

صرحت سارة بكل ما أوتيت من قوة:

- لا تقل مثل هذه الكلمات مرة أخرى.. حبيبي عُمر مازال حيًا إنني أشعر بذلك، ثم انهارت من البكاء فأقبل إليها كل الفريق يهدئونها، ولكن سرعان ما فقدت وعيها، وأُغمي عليها فصرخ خالد قائلًا:

- أطلبوا الإسعاف بسرعة زوجة قائدنا في خطر.

فأسرع مصطفي في طلب الإسعاف، وفي تلك الأثناء كان الجميع قد فقدوا السيطرة على أنفسهم عندما سمعوا كلمات قائدهم عُمر، ودارت في مخيلهم العديد من الأسئلة، وشعروا بألم فقدان الأحبة. قائدهم مفقود، ولا يدروا أحيُ هو أم ميت؟

جاءت سيارة الإسعاف بعد لحظات قليلة، ونقلت سارة إلى المستشفى، وكان الحاج صالح معها في نفس السيارة، وجاء الفريق من خلفهما؛ ليطمئنوا على سارة، ورغبة منهم في عدم تركها في مثل هذه الظروف العصيبة التي عصفت بهم جميعًا، وأشعلت نيران تفكيرهم تجاه عُمر.

جاء الطبيب مسرعًا إلى غرفة الكشف، وبعد نصف ساعة من الكشف، والفحص، والتدقيق في حالتها خرج إليهم؛ ليبشرهم بخبر سار.

وقال الطبيب متسائلًا:

- مَن زوج المريضة؟

وقعت كلماته عليهم كالصاعقة، ونظروا بعضهم إلى بعض نظرة مليئة بالألم والدموع، وقطع الجد صالح تلك النظرات بعدما تقدم إلى الطبيب، وسأله:

- هل حدث مكروهًا لزوجة حفيدي أيها الطبيب؟!

أجاب الطبيب بابتسامة ظاهرة:

- لا، ولكن كنت أريد أن يكون أول السامعين لهذا الخبر الجميل ,

فسأله الجد صالح:

- وما هو الخبر الجميل أيها الطبيب؟!

أجاب:

- خبر حمل المريضة التي ترقد بالداخل، إنها حامل في شهرها الثالث.

صمت الجميع، ولم يبدوا أي شعور أو ردة فعل حيال سماعهم لهذا الخبر؛ لاختلاط مشاعرهم، وتذبذب أفكارهم.

أيحزنوا على فقدان قائدهم، وانقطاع أخباره؟ أم يفرحوا لسماعهم خبر حمل زوجته؟

دخلوا جميعًا إلى غرفة سارة، واطمئنوا عليها، ثم غادروا المستشفى، وتركوا سارة وبجوارها الحاج صالح بعدما استأذنوا

منهمـا.

ورجعـوا إلـى مقرهـم (بخُفـي حُنيـن) ومعهـم جراحهـم، وآلامهـم، وأحزانهـم التـي لـم تفارقهـم منـذ فقـد عُمـر فـي الـوادي المظلـم.

★★★

(٣٠)
صياد رفح

قبل أن يفقد عُمر وعيه رأى شخصًا يسير نحوه، ولما وصل إليه وجده فاقدًا للوعي فحمله، وتحرك به نحو الساحل ثم وضعه داخل مركب صيد صغير يقتات به، ثم أبحر في البحر حتى وصل إلى منزل بالقرب من الساحل، ومنعزلًا عن مساكن رفح، وكان يعيش فيه مع ولده الذي يبلغ من العُمر خمسة عشر عامًا.

ظل يرعاه كمقلتيه، ولم يتحرك له ساكن منذ خمسة أيام، وفي يومه السادس فتح عينيه، وهرع إليه الصياد عندما سمع تأوهاته،فقال له عُمر متسائلًا:

- مَن أنا..؟

فأجابه الصياد متوجسًا:

- ألا تعرف مَن أنت أيها القائد؟

قال عُمر متعجبًا:

- قائد! أي قائد تقصد؟ ومن أين عرفت أني قائد؟

فقال له الصياد:

- ألا تتذكر أي شيء؟

ثم أكمل حديثه قائلًا:

- لقد وجدتك في الوادي المظلم طريحًا على الأرض عند صخرة، وكنت مرتديًا زيًا عسكريًا، وكنت مُصابًا حينها، ووجدت ثلاثة قتلى بالقرب منك فذهبت إليهم، ووجدتهم قد فارقوا الحياة، ثم رجعت إليك.

تحسست نبضك فوجدتك ما زلت حيًا، ولكن كان نبضك بطيئًا، ثم حملتك وأتيت بك إلى هنا، وعالجت جراحك، وكنت فاقدًا للوعي حتى يومنا هذا.

ألا تتذكر ما حدث أيها القائد؟!

أجابه عُمر بحزن:

- لا أتذكر شيئًا، وما زالت رأسي تؤلمني بشدة.

فقال له الصياد بعدما ارتسمت على وجهه ملامح الحزن:

- يبدو أنك فقدت الذاكرة.

فقال له عُمر مُستاءً:

مَن أنا؟ وإلى متى سأظل على هذه الحالة؟

أقترب منه الصياد وربت على كتفه ثم قال:

- لا تحزن، « إنَّ مع العسر يسرا»

دارت الأيام مسرعة، وتعافي جسد عُمر من الجراح، ولم تتعافي ذاكرته بعد، وكان يذهب من الحين إلى الآخر مع الصياد وولده في نزهة بحرية يستمتعون بالمياه الزرقاء الجارية، وبالسماء

الصافيـة.

وتوالـت الشـهور علـى حمـل سـارة، ووصلـت لشـهرها الأخيـر، وأقتـرب ميعـاد الوضـع، وكان كل يـوم يمـر عليهـا تتحـول إلـى زهـرة ذابلـة؛ لبكائهـا وحزنهـا الدائـم علـى عُمـر، وتمنـت أن يعـود سـريعًا، ويكـون معهـا فـي أصعـب أيـام حياتهـا، ويسـتقبل مولـوده الـذي عمـا قريـب سـيخرج إلـى الدنيـا.

ومـرت أيـام صعبـة علـى الفريـق بعـد غيـاب عُمـر، وسـاءت حالتهـم، وكلمـا ذهبـوا إلـى عمليـة تذكـروا قائدهـم عُمـر فتندفـع عبراتهـم بغـزارة، وتصيـر الحيـاة أكثـر مـرارة، وكانـوا مـن الحيـن إلـى الآخـر يذهبـون إلـى جـده وسـارة؛ لكـي يطمئنـوا عليهمـا، وفـي يـوم مـن الأيـام أثنـاء زيارتهـم لجـد عُمـر تذكـروا الحـادث، وفتشـوا فـي أوراق رسـالته عـن أي شـعاع للأمـل، وقـال لهـم عبـد الله:

- لا تحزنـوا، فإنـي علـى يقيـن بـأن القائـد عُمـر سـيعود فـي يـومٍ مـا، كونـوا كيعقـوب فـي صبـره علـى فـراق يوسـف، واشـكوا بثكـم وحزنكـم إلـى الله.

فقال له أحمد:

- صدقـت يـا عبـد الله! فلقـد فتـح لنـا عُمـر بابًـا للأمـل فـي آخر رسـالته، وربمـا الرجـل الـذي رآه أنقذه.

وقال مصطفي:

- ولماذا لم يرجع حتى الآن، وقد مر على غيابه خمسة أشهر كاملة؟

فرد عبد الرحمن:

- لا تيأسوا من روح الله، حتما سيرجع قائدنا فلقد واجه من قبل ما هو أصعب من ذلك، وتغلب على كل المخاطر التي أحاطت به، فهو بطبعه لا يستسلم أبدًا.

ثم تكلم الجد صالح قائلًا:

- لا تقلقوا ولا تحزنوا يا أبطال! وركزوا في مهامكم، وحاربوا أعداءكم؛ لأنكم فخر للوطن، وفخر لقائدكم.

ثم أمضوا نصف ليلتهم يتسامرون مع الحاج صالح في موضوعات متعددة: منها عملياتهم الأخيرة والصعاب التي واجهوها بدون عُمر، ثم غيروا مجرى الحديث حتى لا يقلبوا أوجاعهم التي لا تزال حديثة.

★★★

(٣١)
عودة بعد غياب

ذات يوم خرج عُمر مع الصياد وابنه، وركبوا البحر في يوم كان جوه هادئًا، وساءت الأحوال الجوية، وجاءتهم ريح عاصف، وتعالت الأمواج العاتية، ولم يصمد مركبهم أمامها فإنهار، وسقطوا ثلاثتهم في البحر، وسبحوا فيه لمدة طويلة حتى اقتربوا من الشاطئ فجاءتهم موجة عالية فسبحوا مسرعين نحو الشاطئ قبل أن تتداركهم، ولكن لحقت بعُمر ودفعته نحو صخرة بقوة، وارتطمت رأسه بها.

فأسرعا الصياد وأبنه إليه، وحملاه إلى الشاطئ، وكانت الدماء تغطى جبينه،

وقال له الصياد بعدما فتح عينيه:

- هل أنت بخير؟

أجابه وهو يرمقه بعينيه:

- نعم، أين أنا؟ وأين فريقي، ومَن الذي جاء بى إلى هنا؟

فقال له الصياد:

- هل عادت إليك ذاكرتك؟

فأجابه عُمر:

- ماذا حدث لذاكرتي؟ ومَن أنت؟

فحكى له الصياد ما مر به من أحداث دون نقصان، وفقدانه للذاكرة.

وبعدما انتهي من حديثه سأله عُمر:

- منذ متى وأنا على هذه الحالة؟

فأجابه الصياد:

- منذ ستة أشهر.

قال عُمر مستغربًا:

- ستة أشهر! إنه لوقت طويل مر علىَّ ولا أتذكر أحداثه، وماذا فعلت حبيبتي سارة في غيابي؟ وكيف حالها بعد الفراق؟

ذهب عُمر إلى الصياد وعانقه، وشكره على جميله، وطلب منه الصياد أن يحدثه عن نفسه فحدثه عن نفسه وفريقه، وحروبهم مع الإرهابيين في سيناء.

ثم سأله عن زيه العسكري، وسلاحه؟

فأبلغه الصياد بوجوده في المنزل في الحفظ والصون، فذهبوا إلي المنزل مسرعين، ولبس عُمر زيه العسكري، وغادر المنزل بعدما شكر الصياد وابنه على إنقاذ حياته

***

وفي بيت الحاج صالح صرخت سارة من آلم المخاض، وعلى

الفور أتصل الحاج صالح بالإسعاف؛ لتنقلها إلى المستشفى.

وفي تلك الأثناء أتصل الفريق على الحاج صالح؛ ليطمئنوا على صحته، وعلى حالة سارة التي كانت غير مستقرة أثناء الحمل فأبلغهم بحالتها، وإنهما ذاهبان إلى المستشفى، وأعطاهم عنوانها بعدما أصروا على معرفته؛ للذهاب إليه والوقوف بجانبه في ظل هذه الظروف.

ووصلت سيارة الإسعاف إلى المستشفى، ونقلوا سارة إلى غرفة العمليات، وأصبح الحاج صالح متوترًا، وظل يمشي يمنة ويسرة من شدة توتره، ويدعو ربه من أجل سارة.

وبينما على حالته هذه أتى إليه فريق عُمر وهم: (خالد، وأحمد، وإسلام، وعبد الله، ومصطفي، وعبد الرحمن) وسألوه عن حالة سارة، فأخبرهم بوجودها في غرفة العمليات.

★★★

(٣٢)
اليوم السعيد

مرت دقائق الانتظار على جمرة من نار، والكل شارد ومحتار حتى خرجت سارة من غرفة العمليات على سرير متحرك، ونقلوها إلى غرفة أخرى.

أسرعوا إليها ليطمئنوا على حالتها، وعلى مولودها الصغير، وتركوا الجد صالح يتحدث مع الطبيب.

دخلوا إلى غرفتها، وتمنوا لجنينها العُمر المديد، وسألوا عليه فردت عليهم الممرضة بابتسامة عريضة:

- إنه في الحضّانة، وسيجلبونه بعد قليل إلى أمه.

فسألها أحمد بشغف:

- هل هو ذكر؟

أجابت:

- نعم، ألم يخبركم الطبيب؟

أجابها أحمد:

- لا، لقد كنا في عجلة من أمرنا عندما خرجت سارة من غرفة العمليات فأسرعنا إليها، ووقف الجد صالح يتحدث مع الطبيب.

بعد دقائق قليلة دخل الجد صالح إلى الغرفة، ومن خلفه ممرضة تحمل الطفل الصغير، وألقت به في حضن سارة التي ظلت ترمقه بعينيها، وتحضنه ودموعها تسيل على خديها.

ذهب إليها الجد صالح، وقال لها:

- مبارك يا سارة! ما شاء الله إنه يشبه والده كثيرًا.

بكت سارة ثم قالت:

- ليت والده يعود إلينا، ويشاركنا فرحتنا بمولودنا الجميل.

ثم صمتت، وقالت وهى تظهر ابتسامتها:

- لقد جاءني عُمر، وأنا في غرفة العمليات، ومسح على جبيني ثم قال لي:

- لا تحزني، سنلتقى قريبًا يا زوجتي الجميلة!

فقال لها الحاج صالح:

- خيرًا إن شاء الله، ربنا يحقق لكِ هذه الرؤية المُبشرة بالخير.

قال جميع الحاضرين بصوت واحد:

- آمين آمين.

ثم سأل الجد سارة:

- هل أخترتي أسمًا لإبن حفيدي الجميل؟

أجابت سارة:

- نعم، سأسميه « ياسين »، كنا قد اخترنا الاسم من قبل أنا وعُمر قبل خبر حملي، وفي حالة وضعي ذكرًا.

قال الجميع مهللين:

- « ياسين» يا له من اسم جميل!
ثم ذهبوا إليه يحملونه، ويقبلونه، وهم سعداء به.

***

وقفت سيارة أمام المستشفى، وترجل منها رجل طويل القامة، مقوس الحاجبين، وعريض المنكبين.. ذو قوام رياضي متناسق.. أبيض الوجه مُشربٌ بحمرة، وشعره كالليل في سواده، وكالحرير في نعومته.
ثم دخل إلى المستشفى، وتوجه إلى الاستعلامات (غرفة الاستقبال)، وسأل عن المريضة سارة فأخبروه بخروجها من غرفة العمليات، ونقلها إلى غرفة رقم (١٠) في الطابق الأول.

وقف شاردًا للحظة متأملًا في أحوال المرضى، وخاصة مريض كان يسير من أمامه على كرسيه المتحرك، وطاقم الإسعاف الذين تسللوا إلى المستشفى صارخين؛ لإفساح الطريق لهم وكان معهم حالة حرجة جدًا.
ثم صعد إلى الطابق الأول سريع الخُطى متلهفًا للقاء أحبة لم يراهم منذ ستة أشهر حتى وصل إلى الغرفة رقم (١٠).

لم يدخل مباشرة إليها، ووقف أمامها لحظات؛ ليكبح مشاعره الهائجة، ويسيطر على دقات قلبه المضطربة، ويستجمع نفسه المبعثرة من طول الفراق، ولكن خانته نفسه، وغلبته أشواقه ولم

يستطيع الانتظار دقيقة واحدة.. يكفي ما مضى من شهور الفراق فطرق الباب، ودخل إلى الغرفة قبل أن يسمحوا له بالدخول، أو يجيبه أحد.

دخل عليهم وجميع ما في الغرفة مشغولين بياسين، ولم يُعيروا انتباهًا لشخص قادم ظنًا منهم أنها ممرضة بالمستشفى جاءت لتمر على المريضة إلا سارة التي كانت متشوقة للقادم وتمنت الأماني.. وما أن دخل إلى الغرفة وقعت عينيه في عيني سارة، وصرخت بصوت ندي ممزوج بسعادة المفاجأة:

- عُمر!!

فألتفت الجميع إليه، وتسمروا في مكانهم مذهولين مما رأوا، وتسألوا:

- هل هذا حلم أم حقيقة؟

وقطع ذهولهم صوته حينما نادى عليهم بعدما فتح لهم حضنه، وقال لهم:

- تعالوا لنتعانق يا أبطال!

فأسرعوا إليه يعانقونه ويحتضنونه باشتياق شديد، ودموعهم تتساقط عليه فرحًا غير مصدقين عودته، وظنوا أنهم في سكرة أحلامهم.

واختلطت دموع الفرح مع دموع الاشتياق فأصبحت باردة؛ لتطفئ نيران الأشواق، ولتبعث أملًا في نفوس مَن تشتت أحلامهم فأصبحت هشيمةٌ تذروها الرياح من الهجر والغياب.

ذهب عُمر إلى سارة بعدما أستأذن منه الجميع للخروج من الغرفة والانتظار خارجًا وقبّلها قُبلات حارة بحرارة الاشتياق، وحمل طفله الصغير، وقال وهو يرنو إليه بحنان الأبوة:

- ياسين صغيري الجميل! لقد جئتَ بالبُشرى..

ثم أرسل في طلب جده وفريقه فأتوا إليه مسرعين، وسأله جده عما حدث له فأخبرهم عُمر بقصته كاملةً، وحكايته مع الصياد، وأنه وصل إلى المستشفى بعدما ذهب إلى شقته، ورن الجرس مرات عديدة فقلق عندما لم يفتح له أحدًا الباب.

فطرق على باب شقة الجيران التي أمامهم فخرج إليه أحدهم، وأخبره بما حدث لسارة، ونقلها إلى المستشفى فجئت إليكم على الفور.

بعدما قصّ عُمر عليهم حكايته أقبل إليه عبد الله وحضنه، وقال له:

- حمدًا لله على سلامتك يا قائدي! لقد خفت ألا أُحارب بجانبك مثل أخي الشهيد ياسر (رحمه الله)..

فقال له عُمر:

- مـا شـاء الله أنـت كالأسـد مثـل أخيـك يـا عبـد الله! وسـيكون لـك مستقبلًا باهـرًا معنـا بـإذن الله لمـا أرى مـن فطنتـك، ورجاحـة عقلـك، وبسـالتك التـي أظهرتهـا فـي يـوم المقايضـة.

ثـم جمـع عُمـر الفريـق حولـه، وقـال لهـم بنظـرة حـادة كالصقـر محفـزًا، ومحمسًـا:

- أيهـا الأبطـال! لقـد عـدت إليكـم بفضـل دعواتكـم، ورجعـت إليكـم بعزيمـة وإصـرار، لنكمـل معًـا المشـوار فـي مواجهـة الأشـرار، ووقـف الدمـار فـي كل الأمصـار.

سـنحارب ضـد كل أعـداء الوطـن العربـي، وسـنكون جيشًـا لا يهـابُ الأهـوال، بـل سيسـير وسـط النيـران مـن أجـل مسـتقبلٍ آمـنٍ لـكل الشـعوب.

فلقـد آن الأوان لتخليـص العالـم مـن أوليـاء الشـيطان فكونـوا دائمًـا مستعدين غير خانعين، ولا مبالين.. تأهبـوا لعدوكـم، وأطيعـوا ربكم، واعملـوا بسـنة نبيكـم تكـون لكـم العـزة والغلبـة ضـد جمـوع الأعـداء، ولـو تكالبـت عليكـم كل الشـعوب الكافـرة.

هيـا يـا أبطـال! نفتـح صفحـة جديـدة ناصعـة البيـاض، ونسـطرها بأمجادنـا، وبطولاتنـا، وانتصاراتنـا.

فتقدم عُمر أمامهم خارجًا من المستشفى، ومتجهًا نحو مقر القوات الخاصة وهو يشير بيده هيا يا أبطال! إلى الكفاح والمجد، إلى سفينة الصُناع..

★★★

تم بحمد الله

فهرس

فرحة العودة من براثن الموت ٧
مهمة صعبة ١٢
استشهاد زكريا ٢٣
المرأة العجوز ٢٨
الحصن المنيع ٣٥
بسالة ياسر ٤٢
الفخ والباب السري ٥٠
قبيلة آل عدنان ٦٣
أنين المشتاقين ودموع المُحبين ٧٢
الغرفة رقم (٢٢) ٧٨
القبض على سيف العدل ٨٧
الخطة الثالثة – خدعة الهروب ٩٨
الخطة المزدوجة ١٠٥
درع الحق ١٠٩
إصابة عُمر ١١١
فرحة اللقاء ١١٧
الأماني الكاذبة ١٢٢
كمين الأسر ١٢٧
شهامة أهل رفح ١٣١
محاولة الهروب ١٣٥
عقد الاتفاق ١٣٨
كشف المستور ١٤١
المقايضة والفخ ١٤٣
تدمير الأنفاق ١٤٨
مقتل درع الحق ١٥٣
قتل الأفعى وإصابة القائد ١٥٧
الاختفاء الغامض ١٦١
رسالة عُمر ١٦٤
حزن ثم بُشرى ١٧٦
صياد رفح ١٨٠
عودة بعد غياب ١٨٤
اليوم السعيد ١٨٧

عن الكاتب

أحمد سيد خلف، وشهرته أحمد الروبي شاعر وكاتب مصري من مواليد مركز مغاغة محافظة المنيا.

ولد في الثالث من نوفمبر سنة ١٩٩١ ميلادية، وتخرج من كلية التجارة جامعة بني سويف عام ٢٠١٣.

حصل علي العديد من الدورات والشهادات في مجال المحاسبة، والحاسب الآلي، والتنمية البشرية واللغة الإنجليزية.

كان عضوًا بارزًا في إتحاد الطلاب في اللجنة الثقافية، كما لُقب بشاعر الجامعة.

أحب الأدب وخاصة الشعر في المرحلة الثانوية، وكانت أول قصيدة له في الصف الثالث الثانوي، ثم أكمل مسيرة التأليف في المرحلة الجامعية.

مؤلفاته:

- ديوان ضواحي المدينة (شعر فصحي) ويضم الديوان مائة قصيدة متنوعة.
- رواية صراع في أرض الفيروز.

في حالة تقديم الإقتراحات والنصائح يرجى التواصل مع الكاتب على الإيميل التالى:

Ahmedelruby2014@gmail.com

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

دار لوتس للنشر الحر

مصرية مغربية، تأسست في مايو 2017

للتواصل مع الدار والمشروع

هاتف / واتسآب
+2 01091985809 +2 02// 37390893

الموقع الإلكتروني
www.lotusfreepub.com

البريد الإلكتروني
Lotusfreepub@gmail.com

صفحة فيسبوك
FB/lotusfreepub

أحمد الروبي

حاصر الفريقان الإرهابيين الفارين، واشتعلت نيران حرب جديدة؛ لتبشر بطلوع فجر يوم جديد لا يشوبه الخوف والهلع، وشمس جديدة تنشر أشعة الأمان في كل الأرجاء، وتبعث الأمل والحرية في نفوس المقهورين.

وكانت الملحمة الكبرى التي ستعيش خالدة أبد الدهر، وتتناقلها الألسنة بمختلف اللهجات واللغات في كل بقعة من بقاع الأرض معبرة عن فخر انتصار كبير على أخطر خلية إرهابية في العالم، والتي زرعها عدونا الخارجي؛ ليفسد في أرضنا، وينتهك محارمها.

صراع في أرض الفيروز

رواية

لوتس للنشر الحر
LOTUS FREE PUBLISHING
مشروع النشر الحر 520
الإصدار: